378

HARLEQUIN

روايات أحلام

جراح تنبض بالحب

ساره وود

www.liilas.com/vb3
emma

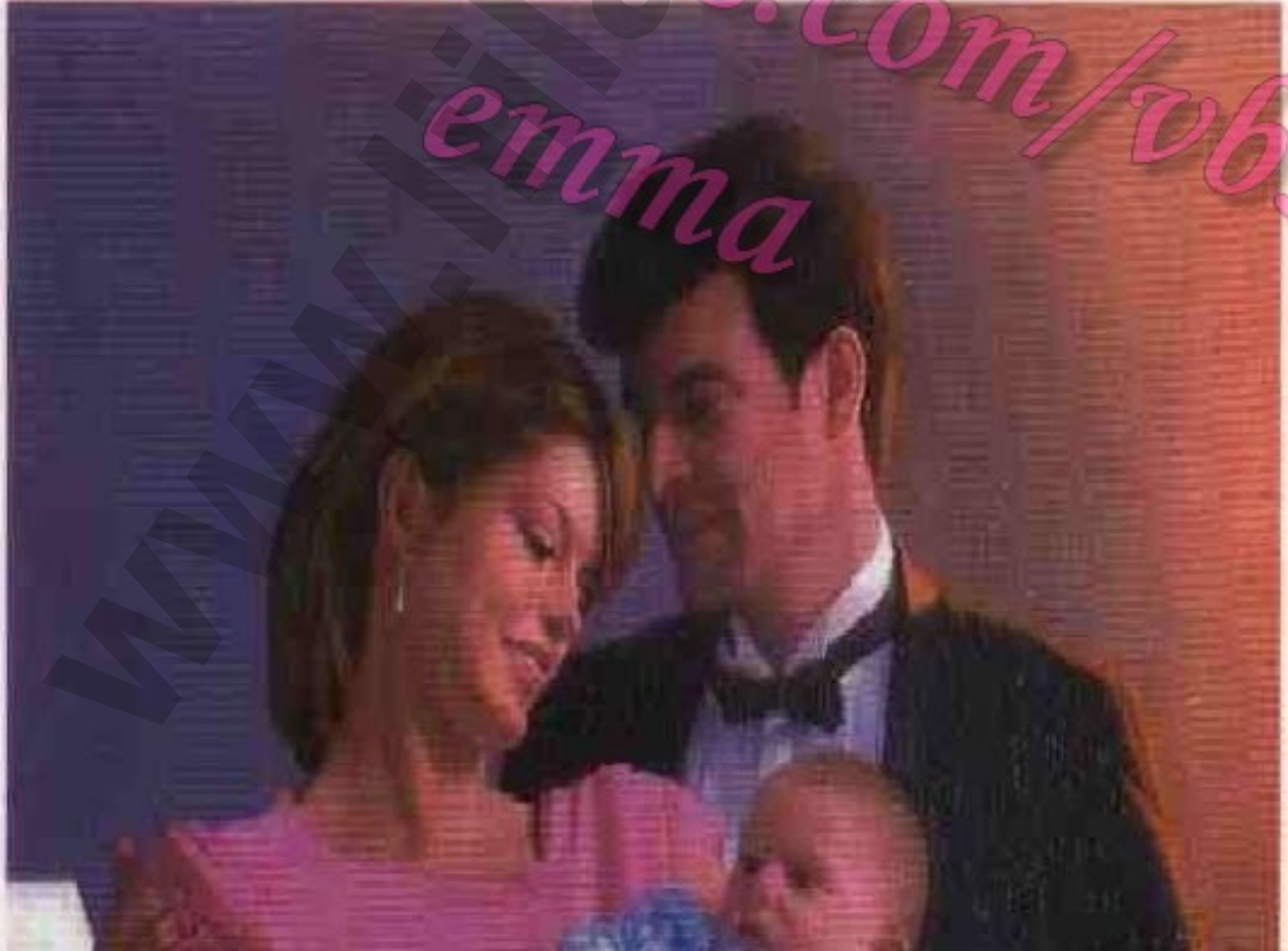

جراح تنبض بالحب

أتخضع لابتزاز زوجها الكونت لتمثل دور الزوجة المحبة ؟ لم لا، وميرندا لا تزال تحب زوجها الكونت دانتي سيفريني، وقد تفعل أي شيء لتبقى معه ومع ابنهما.

أجل، فهي تهيم بالزوج الذي يمقتها ويتهمها بالخيانة والسعي إلى ماله.

ومع أن هذا يؤلمه ويجرحه في عمق رجولته، فلم يكن أمام دانتي أي خيار سوى الاقتناع بالأدلة على خيانة ميرندا له. لهذا قطع كل علاقة له بها. ولكن ماذا سيفعل بابنه الوريث الذي يفتقد أمه بحرقة ؟

سيعرض على ميرندا العيش معهما في القصر والتمتع بأمواله مقابل أن تمثل دور الزوجة المطيعة الحنون...

www.liilas.com/vb3

١ - خائنة!

- أحمل إليك أخباراً سيئة. . . حاول أن تتمالك نفسك!

لم يسبق لأخيه أن تحدث معه بهذه النبرة الودية المشوبة بالقلق. . .

أطبق دانتي أصابعه بإحكام على هاتفه الخلوي، وسأله بسرعة، وقد أخذ قلبه يخفق بسرعة، خشية أن تتحول مخاوفه إلى حقيقة: «لماذا؟».

- آسف يا دانتي، ولكنني أملك دليلاً قاطعاً على خيانة زوجتك لك!

توقف غيدو قليلاً عن الكلام ولكن الصدمة عقدت لسان دانتي عن التعليق على ما سمعه.

- إنني في منزلك الآن. . . إنها في الطابق العلوي. . . وهي تبدو كالمخدرة. . . ثمة دليل ملموس على استضافتها عشيقها في المنزل. . .

وتابع أخوه ثرثراته لكن أذني دانتي صمتا عن السمع، بعد أن انغلق على نفسه داخل عالم من الرعب والذهول. . . عالم أخذ يتحول شيئاً فشيئاً إلى سخط متقد، وقد أحس بالدم الإيطالي الجاري في عروقه يغلي من الغضب المتفجر. . .

منذ أربع سنوات، وهو يدافع عن زوجته أمام أخيه، مؤكداً له أنها لم تتزوج به من أجل رصيده المصرفي، بل لأنها تحبه حباً صادقاً، على الرغم من تحفظها البارد.

يا لغبائه! كيف أعمى جمالها وتواضعها بصيرته عن الحقيقة؟

تواضعها؟ ابتسم دانتي ابتسامة ساخرة. . . لعلها تظاهرت أيضاً بالتواضع أمامه. فتحفظها كان يختفي بسحر ساحر أثناء أوقاتهما الحميمة معاً.

www.liilas.com/vb3
emma

بدأت النيران تتأجج في أحشائه، وهو يقر في سره بأنه لم يعرف يوماً طعم السعادة الحقيقية إلا معها. فهي دافئة المشاعر ومليئة بالأنوثة.

أخذ نفساً عميقاً وقد اعتصر الألم فؤاده... أتراها كانت تخدعه طيلة هذا الوقت؟

- أين كارلو؟

بدت نبرة صوته متشنجة، وراح يصلي بصمت أن يكون ابنه مع مربيته في إحدى الحدائق العامة.

- إنه هنا في المنزل...

أصيب دانتي بالذعر لدى سماعه كلام غيدو الذي تابع قائلاً: «لم يكف لحظة واحدة عن الصياح. حاولت تهدئته، لكنني لم أفلح».

اضطربت نفسه من شدة اشمئزازه، فراح يكيل الشتائم بلهجة إيطالية مبتذلة. فالغضب العقيم أعمى بصيرته، وزرعت الرغبة المتوحشة بالانتقام الفوضى في ذهنه.

وإذ راعه ما يحل به، حرر نفسه من السديم الأحمر الذي ألح عليه مطالباً بالانتقام لرجولته المجروحة، وحاول أن يتمسك بسلامة عقله التي كادت تفلت منه.

- إنني في سيارة الأجرة، وأنا في طريقي إلى المنزل. سأصل في غضون عشر دقائق أو أقل.

- عشر دقائق؟ ماذا؟

صرخ غيدو لاهثاً، ثم تابع يقول: «مستحيل! من المفترض أن تصل طائرتك بعد ساعتين».

صاح دانتي مزمجراً وقد عيل صبره: «استقليت رحلة مبكرة، بحق السماء! هل للأمر أهمية؟».

بدا غيدو مذعوراً من شيء ما، لكن هموم دانتي حالت دون أن يلاحظ ذلك، فأقفل هاتفه الخلوي وقد غمرته موجة من السخط.. سخط من لا حول له ولا قوة. وطلب من سائق التاكسي أن ينهب الأرض نهباً...

أخذت ميراندا تتأرجح وكأن أحداً يهزها. كان رأسها يؤلمها كلما تحركت. وحاولت أن تبعد مهاجمها عنها، لكن ذراعيها أبتا الانصياع إلى أوامر عقلها.

كانت تئن وقد شعرت كأن أحدهم وضع جمجمتها في قدر، وتركه على النار ليغلي، حتى أخذ ما في داخله يتضخم تاركاً ميراندا على حافة الجنون.

لكن الصراخ توقف في نهاية الأمر، وكان أشبه بصراخ طفل..

- ميراندا... ميراندا...

أطبقت أصابع قوية على ذراعها، فيما اخترقت نبرة الصوت الأجش ذهنها المشوش. لا بد أنها مريضة... نعم، لا بد إنه داء الانفلوانزا...

- سا.. عد.. ني...

على الرغم من ثقل لسانها وارتخائه، تمكنت ميرندا من التفوه بذلك مغمغمة، لتجد نفسها بعدئذٍ محمولة، فأصيبت بالهلع وهي عاجزة عن القيام بأي شيء، وقد بلغ الشلل أوصالها.

وضعها أحدهم على بلاط قاسٍ وبارد، أدركت أنها أرضية حوض الاستحمام.

زمجر الصوت ساخطاً: «افتحي عينيك».

لم تستطع فتحهما، إذ شعرت كأنهما مطليتان بغراء قوي. رباه! ما الذي أصابها؟ جاشت نفسها وأحست بالغثيان!

راحت الكلمات تتردد من حولها... كلمات قاسية شريرة لم تفهمها... كلمات أبى عقلها أن يتقبلها.

وإذا برشاش عنيف من المياه الباردة يتدفق على وجهها بلا رحمة أو شفقة، منزلاً بجسدها الخائر أقصى أنواع التعذيب. إلى أن تمكنت في نهاية المطاف، من فتح عينيها برهة من الزمن.

- دانتي.

غمرها الارتياح عندما وقعت عيناها عليه، فتنهدت فرحة. ستكون

www.liilas.com/vb3

الأمور على خير ما يرام. أحنى دانتي رأسه فوقها حتى كاد وجهه يلامس وجهها، فبدت ملامحه متوعدة قاسية. تملكها الهلع، وأمسكت بحافة حوض الاستحمام وهي تدمدم بنبرة خائفة: «أنا.. مر.. يضة..».

- ليتك كنت كذلك.. ولكنك لست كذلك أيتها الفاسقة!

قال لها ذلك بقرف ثم أسرع يغادر المكان...

صعقتها ردة فعله، فبقيت قابعة في الحوض عاجزة عن استيعاب ما يجري. نعم.. إنه كابوس مزعج.. إنها حتماً محمومة، لا بد أنها تهذي. وإن اغمضت عينيها، ستستيقظ لتجد نفسها في حالة أفضل...

زم دانتي شفتيه وهو يتوجه بخطى واسعة نحو غرفة النوم، كانت أغطية السرير مبعثرة، وملابس ميراندا مرمية على الأرض، وإلى جانبها ثياب داخلية لرجل، وهي ليست من ثيابه.

هذا هو الإثبات الأكيد.

قال له أخوه بلطف: «حاولت أن أحذرك منذ زمن طويل».

- أعلم ذلك.

تفاجأ دانتي لدى سماعه صوته، إذ جاء أقرب إلى الهمس. فصدمة خيانة ميراندا له أفقدته قواه، وقضت على كبريائه وثقته بنفسه. تململ من تردد هذه الأفكار في رأسه، ووقف هناك يهزأ من غبائه.

توجه بسرعة إلى غرفة ابنه الذي كان يصيح بأعلى صوته، فجلس إلى جانبه يهدىء من روعه، مخففاً عنه إلى أن استسلم للنوم وقد أنهكه التعب. لم يحاول العودة للاطمئنان إلى حالة ميراندا، فهي لم تعد تعني له شيئاً.

تملكته رغبة قوية بقتلها لأنها تركت ابنهما يبكي وحيداً، وانغمست في علاقة مع عشيقها في الغرفة الأخرى. أقسم في سره على ألا يتكرر ذلك ثانية، وأسرع يوضب حقائبه، بعد أن وافق على عرض غيدو بالبقاء إلى جانب ميراندا إلى أن تتحسن حالها.

حمل ابنه النائم بين ذراعيه، وقد عقد العزم على الخروج من حياة ميراندا إلى الأبد، قبل أن تتسبب لهما بالمزيد من الألم.

٢ - قلب من حجر

- حسناً!

أعلنت ميراندا ذلك بحدة محاولة أن تعيد الهدوء إلى نفسها. وعلى الرغم من ارتجاف أصابعها، تمكنت من دس المفتاح في قفل باب المنزل في «نايتس بريدج»، وتعطيل جهاز الإنذار.

علقت أنفاسها في رئتيها، وتسألت في سرها ما إذا كانت قادرة على التصرف بشكل طبيعي طويلاً بعد. فذهنها مشوش، تستحوذ عليه فكرة واحدة، إلى حد يجعلها ترغب بالصراخ يأساً وقنوطاً.

لم تألُ جهداً خلال الأسبوعين الماضيين بحثاً عن ابنها وزوجها الحقير الذي خطفه منها، إلا أنها لم تجد لهما أثراً.

تملكتها رغبة لا تقاوم بأن تركل شيئاً ما، أو تصيح بملء صوتها في ظلمة الغرفة، لكن عليها أولاً أن تقوم بشيء بالغ الأهمية. جرّت حقيبة السفر إلى داخل المنزل بقوة فضحت توتر أعصابها، ثم أنزلت حقيبة يدها عن كتفها النحيل، واجتازت الرواق بخطىً واسعة متوجهة نحو الهاتف. أحست كأن رجليها ملك شخص آخر، وأصيبت بالدهشة لانصياعهما لإرادتها.

- لن أضيع الوقت سدىً. سأتصل بالشرطة.

قالت ذلك لأختها بتململ، ورفعت سماعة الهاتف استعداداً لطلب الرقم.

- كلا!

ظهر الرعب على وجه ليزي، إلا أنها أسرعت تقول وقد لاحظت أمارات الذهول على وجه ميراندا: «أقصد.. لا داعي لإشاعة الخبر. هل فكرت

www.liilas.com/vb3

بالضرر الذي قد ينجم عن اتهامنا دانتي بالخطف؟ فسمعة آل سافيريني الطيبة هي مصدر اعتزازهم».

فكّرت ميراندا أن ليزي تقول كلاماً لا يمت إلى المنطق بصلة، وتدافع بشكل مربك عن شخص غير جدير بالدفاع عنه.

- وهل تحسبين أن الأمر يهمني؟

لم تجد ميراندا سبباً وجيهاً وراء تردد أختها في تقديم شكوى ضد آل سافيريني، تلك العائلة الأرستقراطية المغرقة في الأنانية، والتي لا يعرف أفرادها معنى الشرف.

راحت نيران الغيظ تضطرم في داخلها، وصورة وجه زوجها الوسيم القاسي تتأرجح أمام ناظريها. حدقت إلى الهاتف بعينين كئيبتين، كم تمنت لو أن بإمكانها أن تسترجع دانتي سافيريني الذي عرفته في الماضي... دانتي المحب العطوف، الذي تودد إليها وتزوجها في غضون شهر واحد، إلا أن الصورة الوحيدة التي تتراءى لها هي صورة ذلك الوحش الماكر الذي عاملها بقسوة وحرمها من ابنها، وتجمّع الأسى في صدرها وقد بلغ الحزن منها مبلغاً وعقد لسانها عن الكلام.

أعادت سمّاعة الهاتف إلى مكانها عازمة الحفاظ على رباطة جأشها. لن تطلق العنان لمشاعرها الحقيقية التي قد تدفعها إلى تحطيم أثاث المنزل كله، من شدة الإحباط، لأنها سوف تغرق بعدئذٍ في مستنقع رثاء الذات. وحدها قوة إرادتها ساعدتها على الحفاظ على جسدها النحيل صلباً منتصباً! صحيح أن التعب أضناها، ولكنها لن تستسلم للحظات الضعف. لم تفعل ذلك يوماً، ولن تفعله الآن، مهما كانت التحديات.

- عليّ أن أبلغ السلطات. قضينا الأربعة عشر يوماً الماضية نجوب على غير هدى، محاولتين سدىً العثور على دانتي.

بدت نبرة صوتها جافة باردة وهي تتابع قائلة: «ضقت ذرعاً برجاله الذين يلزمون الصمت كلما ذكر اسمه أمامهم...».

لا بد أن دانتي أصدر أوامر صارمة لرجاله..

- كيف يجرؤ على أن يفعل بي هذا؟

استشاطت ميراندا غضباً، ثم أكملت قائلة: «لم أشعر بالمذلة إلى هذا الحد. أخرجني رجال الأمن من المكان عنوة».

رفعت رأسها بعناد وهي تتذكر جيداً الصمت العنيد الذي ووجهت به من قبل رجال دانتي، في أهم العواصم الأوروبية. إنها حرب معلنة.

عادت تقول بنبرة جافة وحاسمة: «و...».

وتقطع صوتها قبل أن تتمكن من متابعة كلامها، فابتلعت ريقها واستطردت تقول: «وهو حتماً يريدني».

لكن لا بد أن عذاب كارلو أقوى بكثير من عذابها. فهو صغير السن، ولن يفهم سبب غيابها عنه، وامتناعها عن مرافقته إلى السرير ومداعبته وملاعبته...

- رباه!

صرخت ميراندا لاهثة، وكأن سيوفاً حادة غرزت في صدرها لمجرد تفكيرها في ابنها ومدى شقائه... لكن الدموع لن تحل المشكلة، وعليها أن تحافظ على هدوئها ويقظتها. لا مجال لأن تستسلم لليأس والخوف المتأججين في أحشائها... يأس وخوف طردا النوم من عينيها، وجعلاها تقضي ساعات الليل الطويلة وهي تتقلب على فراشها.

أفلت أنين خافت من بين شفتيها المرتجفتين... أيعقل أن تفقد زوجها وابنها اللذين أحبتهما بكل جوارحها، بمثل هذه البساطة؟

رن جرس الهاتف فارتعدت فرائصها، وأسرعت ترفع السماعة، وتضعها على أذنها. أحست بأعصابها تتفتت فتاتاً صغيرة وهي تجيب من دون أن تعي ما تقوله: «نعم؟ ميراندا تتكلم!».

سمعت طقطقة تلاها صمت مطبق، استغلته ميراندا لتسترجع رباطة جأشها، فأخذت نفساً عميقاً وعادت تقول بنبرة لم تخلُ من البرودة: «ميراندا سافيريني. من المتصل؟».

- دانتي!

www.liilas.com/vb3

دانتي! صعقت لدى سماعها صوته وهو يتكلم همساً. فخارت قواها وأسرعت تمسك بالطاولة الرخامية بيدها خشية أن تقع أرضاً..

ها هو قد اتصل بها أخيراً! أخذ قلبها يخفق بسرعة، وقد عادت أزهار الأمل تتفتح فيه. لكنها لم تمنح زوجها فرصة الاستمتاع بسماعها تتوسل إليه ليعيد إليها طفلها الوحيد. أدركت جيداً أن الخيارات المطروحة أمامها ليست كثيرة، فإما أن تصرخ في وجهه بشكل هستيري، أو تلزم الصمت وتترك الدموع تخنقها. ومنعتها كبرياؤها من الإذعان لأي من الخيارين، فبذلت جهداً بالغاً لتضبط نفسها، وتحافظ على صمتها في انتظار سماع ما يريد قوله لها، مع أن قلبها راح يتخبط عشوائياً بين ضلوعها.

- ميراندا؟ تكلمي!

عادت ذكريات الأيام الجميلة التي كانت شاهدة على حبهما تمر في رأسها، مثيرة فيها المشاعر الجياشة. صرّت ميراندا على أسنانها وهي تذكّر نفسها بكلام غيدو. ففي ذلك اليوم المشؤوم الذي أصيبت فيه بحمّى قوية، أعدّ لها أخو زوجها القهوة، وأحضر لها أغطية لتنام على الأريكة. وعلمت منه أن دانتي رحل مع كارلو، لكن الغموض بقي يلف السبب. عندما رآها غيدو في تلك الحالة المزرية تعاطف معها، واعترف لها بأن دانتي تزوج بها بغية وضع يده على إرث ضخم، وأنه لم ينجب منها طفلاً إلا لينال حظوة لدى عمه الذي لم ينعم الله عليه بالأولاد. وبعد وفاة هذا الأخير، واستيلائه على أملاكه كلها، رحل بعيداً مصطحباً كارلو معه وقد خانته شجاعته، فلم يقدر على مواجهتها بالحقيقة.

قطبت ميراندا جبينها والحيرة تتآكلها.. أين الأجزاء المتبقية من تلك الأحجية؟

بعد أن رأت الفوضى التي تعم سريرها، خطر لها أنها بعثرت الأغطية تحت تأثير الحمى. لكن من الذي نثر ثيابها على الأرض، بالإضافة إلى تلك القطع الغريبة من الثياب التي لم ترها من قبل؟

- ميراندا!

- نعم؟ أتريد أن تقول لي شيئاً؟

قالت ذلك بحزم، وكأن دانتي مجرد شخص التقته صدفة ويدين لها بالاعتذار عن كلام بذيء صدر عنه، وليس الرجل الذي ضرب بثقتها به عرض الحائط وقضى على حبها له؟

وارتجفت شفتاها! لم يعد دانتي حبيبها بل عدوها اللدود... إنه إنسان فظ لا يعرف الرحمة، ترك لها رسالة مقتضبة يقول لها فيها إنها المرة الأخيرة التي تراه أو ترى ابنها فيها، مؤكداً لها أنها لن تحصل منه على فلس واحد، وأن بإمكانها أن تكسب رزقها من الحياة العابثة الرخيصة.... ما الذي دفعه إلى قول ذلك؟

أتراه يحاول أن يجد مبرراً للطلاق؟

ساد الصمت بينهما. كانت تسمع أنفاسه المنتظمة... إنه يتلاعب بأعصابها عمداً، من دون أن يغفل عن اضطرابها الداخلي. عضت على شفتها في محاولة منها لتكبح سخطها، ولفتت نظرها صورتها المنعكسة في المرآة، فراحت تحدق في المرأة الواقفة أمامها، والتي لا تشبه بتاتاً تلك القابعة في داخلها.

بدت ميراندا في مظهرها الخارجي امرأة شقراء، شديدة التحفظ وبالغة التأنق. وعلى الرغم من أنها عادت لتوها من جولة طويلة على مكاتب دانتي في فرنسا وإسبانيا وميلانو، لم تفقد تسريحة شعرها شيئاً من رونقها، كما أن بذلتها النسائية القشدية اللون، لم تخسر ذرة من ترتيبها..

لكن على الرغم من تبرجها الكثيف ظلت أمارات التعب والأسى بادية في عينيها. فبشرتها الذهبية الشاحبة فقدت توهجها، ولم تعد تعكس النور الذي انطفأ في أعماق قلبها.

اقسمت في سرها على ألا تدع دانتي يشعر باهتياجها الشديد. لن تدعه يدرك يوماً حجم الأذى الذي ألحقه بها... إذا ما لعبت دور الضحية، سوف تتحول إلى ضحية فعلاً. علاوة على ذلك، فان كارلو يحتاج إلى قوتها ورجاحة عقلها، ولن تتوانى عن التضحية بنفسها من أجله.

www.liilas.com/vb3

قالت متعمدة إظهار نبرة التململ في صوتها: «دانتي، عليَّ أن أجري اتصالاً... قل ما عندك...».

اطلق صوتاً غريباً تعبيراً عن استهجانه. فاختيارها لتلك الكلمات الفظة لم يكن عشوائياً، وجاء رده عليها مليئاً بالنفور: «أرجو منك أن تعذريني لأنني اتصلت بك في وقت غير ملائم».

لم تخلُ كلماته من التهكم وهو يتابع قائلاً: «أعلم أنك لا تأبهين لأمر ابنك مطلقاً، وأعلم أيضاً أن الاعتناء به يتعارض مع مشاريعك الخاصة، لكن خطر لي أنك قد تودين الاطمئنان عليه... ربما بدافع المجاملة...».

صمّت أذنيها عن نبرة صوته القاسية، وهو ينهال عليها توبيخاً وتعنيفاً.

لن تعترف له أبداً بأن ابنها يستحوذ على أفكارها كلها، مع أنها أرادت أن تصرخ بأعلى صوتها وتسأله إن اشتاق كارلو إليها، متوسلة إليه أن يدلها على مكانه. لكنها ضبطت نفسها... كان دانتي يسعى إلى إذلالها، لن تحقق له مراده، مهما كلف الأمر.

منذ أربع سنوات خلت، كانت ميراندا تشغل منصب سكرتيرته الخاصة في إنكلترا، وتدرك تمام الإدراك أن ذلك السحر الفتان يخفي وراءه عناداً ماكراً وقسوة لا تعرف الرحمة، تدفعه إلى بلوغ أهدافه من دون كلل أو ملل. لم تكن تعلم في ذلك الحين أنه يحتاج إلى زوجة تضمن حصوله على ذلك الإرث الهائل، ولكنه وجدها أمامه، على طبق من فضة، طريدة بريئة من السهل الانقضاض عليها.

علت الحمرة خديها وهي تتذكر الفرحة التي غمرتها لدى سماعها طلبه للزواج بها. يومها لم تتردد لحظة واحدة بالموافقة. وبعد وفاة عمه، بات دانتي يملك قوة شرائية ضخمة تخوله الحصول على كل ما يريده.. بما في ذلك حضانة ابنها، إن دعت الحاجة لذلك. اضطربت ميراندا، وقد تملكها الذعر من القوة المتربصة بها.

تمكن عم دانتي العازب، من إدارة مملكة سافيريني للحرير، من شقته الفخمة في ميلانو. فيما أمنت مصانع العائلة في شمالي إيطاليا، حاجات أهم

دور الأزياء في العالم من الحرير.

لم تدرك ميراندا أن دانتي كان يستعد لاستلام زمام الأمور، فهو لم يتفوه بكلمة واحدة أمامها. ولِمَ تراه يفعل ذلك وهو لم يخصص مكاناً لها في خططه المستقبلية؟

كان الموقف أشبه بكابوس مزعج، فزوجها يريد حتماً أن يورث ابنه أملاكه، ومن المؤكد أنها ستخسر كارلو إن لم ترمِ ورقتها الرابحة، وتهدده بإلحاق العار بعائلة سافيريني.

خلال رحلة العودة إلى إنكلترا، بعد بحثها من دون جدوى عن دانتي، عقدت العزم على فضحه أمام الملأ ورفع النقاب عن قساوة قلبه وأنانيته. فكبرياؤه المفرطة وطموحه العنيد دفعاه إلى حرمان طفل في الثالثة من عمره من حنان أمه.

حاولت بشدة أن تبعد عن ذهنها صورة الملاك الصغير ذي العينين السوداوين الذي أنار حياتها! فمنذ اختفائه وصورة وجهه الجميل الذي لا تفارقه البسمة تقضّ مضجعها... شعرت في تلك اللحظة بأنها بلغت شفير الهاوية...

قاطعته بتململ لتضع حداً لتهشيمه العنيف لشخصيتها: «ألهذا السبب اتصلت بي؟ أتريد أن تصب جام غضبك عليَّ؟ أو أن توهم نفسك بأنني الملامة على تصرفاتك؟ في هذه الحالة، سأقفل الخط...».

- كلا...

غمرتها موجة من الرضى لدى سماعها رده السريع. بدا جلياً أنه يحتاج إلى شيء ما منها... أيريد أن يعيد كارلو إلى أحضانها؟ لعله قرر أن يعهد إليها مسؤولية تربيته ليتفرغ لانجاب الذرية من امرأة أخرى، بعد أن ورث أملاك عمه كلها..

أحست ميراندا بالغثيان، ذلك أن جزءاً صغيراً منها لم يكف عن حب دانتي بعد. تنهدت وهي تقر في سرّها بأنه من الصعب إطفاء شعلة ذلك الحب الكبير بين ليلة وضحاها. لكن رهانها على أن التظاهر باللامبالاة هو الحل

www.liilas.com/vb3

الأفضل، بدأ يحقق نتائجه.

حاولت ألا تتفاءل كثيراً، فضغطت بيدها على قلبها، ساحقة سترتها الحريرية تحت أصابعها الطويلة، وسألته ببساطة وهي تحاول جاهدة الحفاظ على رباطة جأشها: «ماذا تريد».

- يا رب السموات! إنك وحش عديم الشعور في جسد امرأة!

كادت ميراندا تغص بالبكاء بصوت مسموع، فقد تحولت في نظره إلى امرأة متحجرة القلب. غير أنها لم تجد طريقة أفضل لمواجهة لا مبالاته المتزايدة خلال السنة الماضية.

تمالكت ميراندا أعصابها وأجابته: «أظنك ستدخل الآن في صلب الموضوع».

كان ذهنها في حالة من الذعر الهستيري، فركعت على ركبتيها وقد ارتخت رجلاها وأصبحتا أشبه بسائل مائع...

رأت ليزي تحدق بها وعلى وجهها إمارات الذهول. فاجتاحتها موجة من الحنان لدى رؤيتها تأثر أختها باضطرابها.

تنحنح دانتي وقال لها: «عليك أن تأتي إلى إيطاليا. حضورك ضروري جداً».

بدا لها وكأن قطيعاً من القيلة البرية تسحب الكلمات من فمه، فصوته الذي يبدو عادة بنعومة الحرير، بدا الآن خشناً قاسياً ثم تابع يقول: «أرسلت بطاقة السفر عبر البريد. عليك المجيء في الغد، وستجدين سائقي في انتظارك في المطار. إنني أقيم حالياً في منزل عمي!».

شكراً لك! شكراً لك! صرخت ميرندا بصمت مشوب باللهفة. أيعقل أن يرق قلبه؟ لا، هذا محال.. لكن يبدو أنه قد أسقط من يده حين اكتشف أن تربية كارلو في محيط غريب عنه أكثر صعوبة مما كان يخال!

رباه! من المؤكد أنه يائس للغاية ليتغاضى عما تمليه عليه كبرياؤه. لكن كارلو سيعود إلى أحضانها، وسينتهي زمن الفراق إلى غير رجعة. وضعت يدها بسرعة على فمها لتمنع نفسها من إطلاق تنهيدة ارتياح.

لم تعد قادرة على تمالك أعصابها لوقت طويل، فأعادت السماعة إلى مكانها، من دون أن تعلق على أوامر زوجها الاستبدادية بكلمة واحدة، ثم هرعت إلى غرفتها مطلقة العنان لدموعها التي راحت تسيل غزيرة على خديها.

إنها المرة الأولى التي تشاهد فيها ليزي أختها الكبرى تبكي. فيوم ماتت والدتهما تاركة لميراندا مسؤولية رعاية أختها الصغرى، التي لم تكن قد تجاوزت حينها الثانية عشرة من عمرها، لم تذرف دمعة واحدة.

كان دانتي أول رجل تقع ميراندا في هواه. أول رجل يزرع البهجة في قلبها ويسلب عقلها، فهو غاية في الوسامة، وأكثر جاذبية من شقيقه غيدو الأصغر منه سناً، والذي يتولى إدارة مكتب لندن.

عضت ليزي على شفتها. إنها تخشى من ردة فعل ميراندا، إن علمت أنها تواعد غيدو المتهور المجنون، لكنها تريد أن تعيش حياتها وتصبح فرداً من عائلة سافيريني الفاحشة الثراء. ألا يكفيها ما تعانيه من قلق بعد أن أقصيت ميراندا عن العائلة، ولم يعد لديهما مدخولاً ثابتاً يقيهما شر العوز؟

ارتعدت فرائصها وهي تتذكر أيام الفقر التي عانتا منها في صباهما. أما منذ زواج ميراندا وانتقالهما للعيش في منزل نايتس بريدج، فلم يبخل دانتي عليها بشيء، وأعطاها حرية التسوق على هواها، حتى باتت عاجزة عن التخلي عن هذه الحياة المترفة.

ماذا لو صمم صهرها على الانفصال عن اختها؟ لقد حان الوقت لتستلم إدارة الدفة بنفسها، وتتحين الفرصة لاصطياد فرد من أفراد عائلة سافيريني، فتنعم بالحياة التي لطالما تاقت إليها.

***

صاحت ليزي بأعلى صوتها: «أنظري يا ميراندا. أنظري إلى هذا المكان!».

بدأت ميراندا تشعر بالندم لنزولها عند رغبة أختها، وموافقتها على أن تسافر معها إلى إيطاليا. فخلال الرحلة، لم تكف ليزي عن الحديث عن

ضرورة حل خلافاتها مع دانتي بصورة ودية، ولم تتوانَ عن التعبير صراحة عن توقها للعيش في تلك الفيلا الفخمة على ضفاف بحيرة كومو، مما أثار انزعاج ميراندا. تقابلت نظراتها بنظرات السائق الساخرة في المرآة، فأشاحت بعينيها بعيداً وقد بلغ الإحراج منها مبلغاً، وتوقفت السيارة أمام بوابة ضخمة، فتوترت أعصابها. لا بد أنهم بلغوا وجهتهم...

تقلصت عضلات معدتها ونسيت افتتان ليزي المحرج بثراء آل سافيريني... ما هي إلاّ لحظات قليلة، ويرتمي كارلو بين أحضانها.. تقطعت أنفاسها من شدة الإثارة..

قالت ليزي مهللة: «يا لها من ثروة هائلة! ألا يمكنك إعادة المياه إلى مجاريها؟ أرجوك، أرجوك، انظري من حولك. ألا ترين ما يفوتك؟».

قطبت ميراندا جبينها وقد عيل صبرها: «أتيت إلى هنا لسبب واحد فحسب.. أريد أن أبعد كارلو عن الرجل الذي تزوجته في لحظة غباء!».

توقفت قليلاً عن الكلام، ثم استطردت تقول بنبرة مفعمة بالعواطف الجياشة: «أقسم لك إنني لن أتوانى عن بذل قصارى جهدي لأعيد ابني إلى انكلترا».

- لن يجدي الكلام معك نفعاً. حسناً، حاولي على الأقل أن تتوصلي معه إلى تسوية ترضي الجميع.

نصحتها أختها بنبرة لم تخلُ من الغضب، ثم تابعت تقول: «ولا تنسي أن تبتزيه قدر المستطاع!».

فتحت الأبواب الحديدية الكترونياً لتتمكن سيارة الليموزين من العبور، فلم تقوَ ميراندا على كبت ابتسامة الارتياح التي ارتسمت على ثغرها وقد أدركت أن طفلها بات على مسافة قريبة منها.

لم يفتها أن تلاحظ نظرات القسوة في عيني السائق حين رأى علامات البهجة على وجهها، وتساءلت بصمت عما قاله دانتي للعاملين عنده بشأنها.

سألته لاهثة من شدة الحماسة: «هل يقيم دانتي سافيريني في هذا المكان؟».

تردد للحظات ثم أجابها بحدة: «أجل!».

لم يقل لها بلباقته المعتادة «أجل سيدتي»... فصرت على أسنانها ساخطة من هذه الإهانة المتعمدة، إلا أنها عادت وارتأت ألا تعير الموضوع اهتماماً.

فبعد ساعة من الآن ستكون في طريق العودة إلى ديارها، تاركة خلفها كل ما قد يذكرها بآل سافيريني.

اجتازت السيارة الطريق الفرعية الطويلة لتزيد من توترها، إذن، هذا هو المكان الذي طالما تاق دانتي للاستيلاء عليه، إلى جانب الأملاك الأخرى! والسبب واضح للغاية، فهذا القصر المدهش يقع على ضفاف بحيرة كومو شمالي إيطاليا وتحيط به حدائق غناء امتزج فيها الطابع الانكليزي بالطابع الإيطالي، فتناغمت نباتات الصفصاف والدلب مع أشجار الموز والنخيل، وسط التماثيل الرخامية والشرفات الأنيقة.

صاحت ليزي بملء صوتها لدى رؤيتها المنزل:

- أصبح صهري مليونيراً! يا للروعة!

- ليزي!

صرخت ميراندا في وجهها موبخة وقد شعرت بالإهانة من نظرات النفور في عيني السائق. اعترضت أختها على كلامها بحدة: «ما الأمر؟ إنني أقول الحقيقة فحسب. انسي أمر الطلاق! فالأمر يبدو رائعاً يا ميراندا... إنها فرصة العمر. أجيدي تأدية دورك كما اتفقنا، وحاولي استدراجه إلى السرير. فتعود الأمور إلى مجاريها...».

إلاّ أن ميراندا انشغلت في معاينة المنزل، فلم تسمع كلام أختها.

بدا البناء المؤلف من أربع طبقات، والمبني من الطين الأحمر الباهت، جميلاً ومهيباً في آن معاً. إنه قصر يعود بناؤه إلى القرن الثامن عشر، يليق بأمير أو برجل لا حدود لطموحه. والحق يقال، إنه أجمل منزل رأته عيناها أو سمعت عنه أذناها في القصص الخرافية القديمة. فهو يقع وسط حدائق خضراء غضة، ويطل على مناظر خلابة، وعلى بحيرة زرقاء تخطف الأبصار.

على الرغم من فخامته، بدا القصر مرحباً للضيف مبالغاً في الحفاوة به،

www.liilas.com/vb3

وكأن قرون الحب والرعاية أضفت عليه طابعاً خاصاً به. حتى ليزي، لزمت الصمت عندما توقفوا قرب سلم حجري عريض.

تسارعت دقات قلبها وهي تهم بالنزول من السيارة... وراحت ترتجف من شدة الترقب، وقد ساورها شعور بالغثيان لشدة الحماسة والفرح. حبست أنفاسها ما إن وقعت عيناها على دانتي يخرج من الباب الأمامي للمنزل بطوله الفارع. ولم يغب عنها تعثر ليزي خلفها، وصوتها المدوي، وهي تتحدث بابتهاج مع صديق لها على هاتفها الخلوي، يملأ المكان..

شعرت بخيبة الأمل، واستعرت نيران الخوف في أحشاء ميراندا وهي ترى دانتي يخرج بمفرده من دون كارلو. أتراه يأخذ قيلولة؟ ابتسمت ابتسامة عريضة وقد استحوذت على ذهنها صورة ابنها وهو نائم. رفعت بصرها نحو الرجل الذي كان يراقبها بحدة، من دون أن تفارق الابتسامة ثغرها، فأحست على الفور بشرارات كهربائية تملأ الجو بينهما. إنه الأثر عينه الذي تركه في نفسها يوم التقت به للمرة الأولى... إحساس بالانتماء الغريزي إليه... إحساس بقدرهما المشترك... وإحساس بفرح عارم...

اطلقت ميراندا تنهيدة عميقة. لطالما كانت هذه المشاعر من طرف واحد، فهو لم يحبها يوماً. ولم تلبث أن أدركت السبب الكامن وراء وقفته الاستبدادية تلك، واهتمامه المفرط بمظهره الخارجي، وإصراره على ارتداء بذلة حريرية وقميص ملائمة خيطت خصيصاً له، وحذاء جلدياً باهظ الثمن؛ الثراء الفاحش.

يا لغبائها وجهلها! فخلال إقامتهما في لندن كانا يعيشان عيشة رغيدة، لكنها لم تبلغ قط حد الإفراط. غير أن انتماءه الجديد إلى طبقة مختلفة كلياً، طبقة أصحاب الملايين، بات واضحاً للعيان.

أحست ميراندا بغصة في حلقها، وقد هالها أن يتحول زوجها إلى رجل غريب عنها لمجرد ارتقائه في السلم الاجتماعي الى الطبقة العليا من المجتمع...

هرع السائق يصعد السلم لموافاة دانتي، وراح يحدثه بعجلة ملوحاً بيديه،

فخطر لها أنه يتذمر من ملاحظات ليزي المحرجة والتي راحت نطلقها يميناً وشمالاً.

اقشعر بدن ميراندا مع أن أشعة الشمس الحارقة كانت تلفح جلدها، فوقفت عاجزة عن الحراك تنتظر نزول زوجها.

بعد أن صرف السائق، بدأ دانتي ينزل السلم ببطء شديد، متعمداً الوقوف عند الدرجة السفلية والعبث بازهار إبرة الراعي الموضوعة في أصّ نحاسي قديم. تباً له! لا شك أنه يعي ما تعاني منه! ستدق عنقه إن تمادى في التلاعب بمشاعرها.

- ميرندا!

انحنى لها ساخراً من دون أن يعانقها أو يصافحها، فاكتفت بالإيماء برأسها، وهي تبذل جلّ ما بوسعها لتحافظ على رباطة جأشها وبرودة أعصابها.

- مرحباً يا أليزابيت!

رحب بأخت زوجته بصوت هامس، ثم أضاف قائلاً: «العلك ترغبين في القيام بجولة في المنزل، واحتساء شراب منعش، وتناول بعض الحلوى في البهو!».

- من دون أدنى شك!

واسرعت تتسلق السلم وهاتفها الخلوي مثبت على أذنها، وهي لا تدري أن دانتي تمكن من التخلص منها بفطنة.

لاحقت نظراته الساخرة أختها، وظهرت عند طرف فمه الأنيق ابتسامة ازدراء، أرسلت على امتداد عمودها الفقري قشعريرة الذكريات، اغمضت عينيها برهة وقد أحست بتوق إلى عناقه الحار. إلا أنها تذكرت على الفور، أنه لم يكن يسعى من وراء ذلك إلا إشتعال فتيل الحب في قلبها في انتظار وفاة عمه! فتحت ميراندا عينيها، آية الاستسلام ثانية لأحلام اليقظة.

التفت دانتي نحوها فجأة، وراح يقيم مظهرها بعجرفة، ونظراته مسلطة على قوامها الرشيق وفستانها الحريري الأزرق الذي يتلاءم مع لون عينيها.

قطب جبينه استياءً، وقال: «تبدين أكثر نحولاً». .

رفعت ميراندا ذقنها بتحدٍ. في الماضي كانت تعشق اهتمامه اللافت بملابسها وقوامها، اهتمام بدا لها في تلك اللحظة مهيناً وفي غير محله. رفعت كتفيها بلا مبالاة، وأجابته: «لا أظن أن مظهري الخارجي يعنيك. في الواقع، كنت مشغولة بالتنقل من مكان إلى آخر».

إلا أنها لم تخبره بأن موجة من الغثيان كانت تغمرها كلما وقعت عيناها على الطعام. غثيان يترافق مع آلام مضنية في المعدة. وفكرت: تباً لك يا دانتي! أين ابني؟

أرخى دانتي عقدة حاجبيه وقال لها: «معك حق. لم يعد نمط حياتك المريع يعنيني. والحق يقال إن ذلك يسعدني».

توقف قليلاً عن الكلام، ثم أضاف ببرودة: «الشاي جاهز في غرفة المكتب، فاتبعيني!».

لم تبنس ميراندا ببنت شفة، ولحقت به على السلم بصمت، من دون أن ترد على إهانته بإهانة أخرى. سألها بخشونة: «أليس لديك ما تقولينه لي؟».

- كلا!

عليها أن تنتظر اللحظة المناسبة، بعد أن تعرف ما يريده منها.

- هذا ما حسبته!

ولم تخلُ نبرته من الاحتقار، وهو يتابع قائلاً: «أثبتِ لي لتوك شيئاً مهماً».

- حقاً؟ وما هو؟

- أنك كنت تتظاهرين بحب كارلو في حضوري!

سألته ساخطة: «وكيف توصلت إلى هذا الاستنتاج، بحق السماء؟».

أجابها بازدراء مهين:

- مضى أسبوعان على غيابه عنك، ولم تتكبدي عناء السؤال عن مكانه!

يالوقاحته! قالت ميراندا ذلك في سرها، وقد بلغ غضبها أوجه. ألا يدرك أن ذهنها يصيح مطالباً باشباع توقه لسماع أي معلومة عن ابنها؟

- وهل من فائدة ترجى من إضاعة الوقت سدى؟

جاء ردها جافاً للغاية، ولحسن حظها إنه لم يحمل بين ثناياه أي أثر لاضطرابها الداخلي. بعدئذٍ تابعت تقول: «لا أظنك ستطلعني على مكانه إلا إن كنت مستعداً لتفعل ذلك من تلقاء نفسك».

قال لها مدمدماً: «أرى أنك تعرفيني أكثر من نفسي!».

تعرفه؟ على العكس! كيف يسعها أن تفهم حقيقة ثعبان ماكر مخادع؟ لن تثق به بعد اليوم.. وعادت الشكوك تراودها حول السبب وراء جلبها إلى هنا، فتوقفت في مكانها وقالت له: «أريدك أن تجيبني عن سؤال واحد، وإلا لا أجد من داعٍ لدخولي المنزل: هل سأرى ابني قريباً؟»

- طبعاً!

أخذت ميراندا نفساً عميقاً.. حسناً لم يعد هناك من مبرر لمخاوفها، وجلّ ما عليها أن تفعله هو أن تحافظ على عزة نفسها، في انتظار أن يرق قلب دانتي ويسمح لها بأن تضم كارلو إلى صدرها. وفي تلك اللحظة، يمكنها المجازفة بإطلاق العنان لفرحها.. ودموعها..

لم تكن قادرة على تصديق أذنيها. أيعقل أن ينتهي كابوسها قريباً؟

www.liilas.com/vb3

٣ - رجل بلا قلب

فجأة خارت قواها. وكأن طاقاتها الجسدية والذهنية قادتها إلى هذه اللحظة، وبات بوسعها أن ترمي سلاحها وتنتظر موعد لقائها بكارلو من جديد. تركت الإرهاق يستولي عليها وهي تلحق بقامته الطويلة عبر الأبواب الضخمة. لم تره يوماً وسيماً إلى هذا الحد، ولم يغب عن عينيها المتعضتين شعره المصفف بعناية، ورقبته الداكنة، وكتفيه العريضتين البارزتين من تحت سترته الأنيقة.

أحست بالألم يعتصر فؤادها وكادت تبكي على كل ما ضاع منها.

صحيح أن سعادتهما كانت مشوبة بالرياء، لكن دانتي أجاد مراوغتها كي لا يثير ارتيابها، قبل وفاة عمه.

- أهلاً بك في منزلي.

التفت نحوها يدعوها للتعبير عن رأيها فيه، فتظاهرت بمعاينة المكان وكأنها لم تكن تفعل إلا ذلك منذ وصولها.

تنبهت ميراندا إلى أن القصر فقد فجأة طابعه الودي، وبدا فخماً إلى حد مروع. وفي الرواق البارد، الذي كانت مصاريعه كلها مغلقة، لاحظت أن الزجاج والذهب يلمعان بصورة غامضة..

زرع المكان القلق في نفسها، فهو ينم عن ثراء فاحش للغاية. قلة من الرجال الطموحين قادرين على مقاومة إغراء الترف والسلطة، وإمكانية التربع على عرش سلالة ترقى إلى خمسماية سنة.

ليتها لم تقع في شرك دانتي المخملي! أخبرها غيدو أن أخاه أدرك أنها واقعة في حبه، فاستغل الفرصة ليتزوج بها قبل أن ينفذ عمه تهديده، ويترك أملاكه

كلها، لقريب له متزوج وله عائلة.

سألها دانتي ببرودة: «ما رأيك في المنزل؟ هل يروق لك؟».

رفعت ذقنها بتعجرف. لم تكن تنوي إرضاء غروره فاجابته بازدراء: «أجده شاسعاً جداً ليقيم فيه رجل واحد».

- أوافقك الرأي.

فاجأها رده، فوقفت عند الدرجة العلوية من السلم تتأمله باستغراب.

- لهذا السبب ارتأى أماديو ألا يقيم فيه، واستخدامه للحفلات الكبرى فحسب.

- لكنك ستقيم فيه!

ضاقت عيناها وهي تعرف الرد حق المعرفة. فمن الواضح أنه يعشق موضعه الحالي، ولن يتنازل عنه مهما كلف الأمر.

- أحسنت!

ساورتها الشكوك.. قال دانتي صراحة إنه يجده شاسعاً جداً ليقيم فيه لوحده، أيعقل أن يصر على الاحتفاظ بكارلو؟

تسارع نبضها وقد تنبهت إلى الخطر المحدق بها، لكنها حاولت جاهدة ألا تظهر له حقيقة مشاعرها. فمهما كانت اللعبة التي يلعبها، لن تحقق له مراده وتسمح لنفسها بأن تظهر ضعفها أمامه. حاولت ميراندا أن تتعزى مؤكدة لنفسها أنه قد يحضر والدته وشقيقه غيدو للعيش معه هنا. فعلقت ببرودة شديدة: «لطالما خيل إلي أن محل إقامة أماديو الأساسي هو في منزله الفخم في ميلانو. لم تقل لي يوماً إنه يملك قصراً».

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لمَ أخفى الأمر عنها؟

نظر دانتي إليها، بعينين خاليتين من أي تعبير ورد عليها قائلاً: «أحتفظ بالأسباب لنفسي».

سألته بإلحاح: «ما هي هذه الأسباب؟».

تردد قليلاً لكنه عاد وأجابها بنبرة مشوبة بالفتور: «كنت أفضل أن تتزوجي بي لشخصي وليس للفوائد المالية التي ستجنيها مني».

www.liilas.com/vb3

كان يبحث إذن عن الحب! تملكتها رغبة جامحة بضربه! كان يبحث عن شخص مولع به ليتمكن من التحكم به. شخص لا يعني له الكثير. ولكن ماذا عنها؟ ألا يحق لها بأن تنعم بالحب أيضاً؟

قالت له بفظاظة: «أظنك أخطأت التصرف!».

أخطأ التصرف يوم تزوج بها زواج منفعة، وأخطأ التصرف يوم استخدمها كوسيلة لبلوغ مآربه.

أجابها مدمدماً: «هذا ما تبين لي!».

وتابع تقدمه بخطى واسعة، حتى وجدت نفسها مرغمة على السير بسرعة للحاق به.

توقفا أمام باب عريض، وضعت إلى جانبيه زهريتان خزفيتان.. فرماها بنظرة عجلى.. نظرة لا تعرف الرحمة، وقال: «سيحرص المحامون على ألاّ تنالي مني فلساً واحداً. يمكنك أن تعيلي نفسك بنفسك».

– أجل. يمكنني أن أكسب رزقي من الحياة العابثة الرخيصة.

أرادت أن تذكره بالكلمات السخيفة التي كتبها في رسالته المقتضبة تلك، وأحست بشيء من الرضى وقد لاحظت توتر جسده، وهو يجاهد لكبت غيظه. نظرت إلى الباب أمامها والمشاعر المتضاربة تتدافع في داخلها: «هل كارلو في الداخل؟».

– كلا، إنها غرفة المكتب. تفضلي بالدخول!

أحست بخيبة أمل عظيمة. يبدو أن عليها الانتظار إلى أن يستيقظ كارلو، ولن تتمكن من أن تفعل شيئاً لحثه على الإسراع. سلمت في سرها بأنه سيجعلها تنتظر، ولا شيء سيثنيها عن الانتظار، مهما طال الأمر.

فتح دانتي الباب، ووقف جانباً ليدعها تدخل، عقدت ميراندا العزم في سرها على الصمود لساعة أو أكثر، فأسرعت تدخل إلى الغرفة لتجد نفسها تشهق اعجاباً، هامسة على مضض: «مذهل»!

تركزت عيناها على الأبواب الزجاجية المفتوحة في الجهة المقابلة من الغرفة، والتي كانت تطل على أجمل منظر شاهدته في حياتها. فلم تقوَ على

مقاومته. اسرعت تجتاز الغرفة التي فرشت أرضها بالسجاد العجمي، لتخرج إلى الشرفة وكأنها تعيش في حلم جميل!

وأخذت نفساً عميقاً محاولة أن تركز اهتمامها على السبب الذي دفعها للخروج إلى الشرفة.

أرادت أن تشبع عينيها من سحر هذا المنظر الأخاذ، وتستغل هذه الدقائق القليلة لتستعيد قواها قبل أن تأخذ كارلو وتعود به إلى ديارها.

وقررت أن تمتع عينيها بالمشهد الخلاب الممتد تحت ناظريها.. مشهد من الصعب ألا ينتشي المرء أمامه مهما بلغ به التوتر..

سألها دانتي خارقاً الصمت الذي خيم عليهما: «ما رأيك ببحيرة كومو؟».

– لم أرَ شيئاً مماثلاً من قبل... إنها مدهشة!

أجابها مدمدماً: «بل تخطف الأنفاس!».

– أظن أن المشهد يبدو بهياً عند الصباح.. كم مضى على وجودك هنا؟

– أسبوع واحد.

أومأت له برأسها، وعيناها لا تزالان مسحورتين بما تشاهدانه.. وإذا بها تسمعه يتشدق قائلاً: «أعتبر هذا المنزل أكثر جمالاً وعراقة من كل اللوحات المعلقة على الجدران، والقطع الأثرية التي لا تقدر بثمن، والموضوعة هنا وهناك. إنه تجسيد لكمال الطبيعة!».

بدا دانتي مفتوناً بالإرث الذي حظي به، ولم يفاجئها تصرفه كثيراً. وقفت تتأمل بإعجاب منازل البلدة الصغيرة، المغرية والقشدية اللون، المستكينة عند سفوح التلال، المغطاة بغابات كثيفة. تلال ارتفعت خلفها جبال شاهقة افترضت ميراندا أنها جبال الألب. بدت قممها المسننة وكأنها تخترق السماء..

يا له من اتحاد غريب للسكون والهمجية! اتحاد تسلل إلى أعماقها وحرك مشاعرها..

وقف دانتي قربها من دون أن يحرك ساكناً. ولكن الدفء المنبعث من

www.liilas.com/vb3
emma

جسمه لامس حواسها، ورائحة عطر ما بعد الحلاقة عبقت في أنفها.

- لا شك أنك سررت كثيراً بعد أن أصبح هذا المكان ملكاً لك.

راح دانتي يتأملها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها مثيراً انزعاجها، قبل أن يقول: «هذا صحيح..».

اجتاحتها في تلك اللحظة موجة من اليأس، فعلى الرغم من شكوكها حيال دوافعه وراء حماسته البالغة للمنزل، عادت تحبس أنفاسها، عاجزة عن إبعاد عينيها عن وجهه المنتشي الذي أضاءته أشعة شمس الغروب، فبدا وكأنه منحوت من الذهب المطروق.

فجأة تجلت لها الحقيقة البغيضة: دانتي يحب المنزل أكثر مما أحبها يوماً.. من جهتها، تفضل ميراندا الاحتفاظ بحب ولدها. تململت بعصبية وهي تتوقف للانتقال بالحديث إلى كارلو، إلا أنه أسرع يقول لها: «هبت عاصفة قوية ليلة وصولنا...».

راح يتحدث بصوت هامس، من دون أن يبدو على عجلة من أمره للاطمئنان على ابنه النائم. أصغت إلى كلامه بنفاد صبر، وهي تتفحص بإمعان قسمات وجهه المعبرة عن مختلف مشاعر الحب، والكره والألم... وتابع قائلاً: «فتبين لي أن البحيرة قد تكون خطيرة، فهي أشبه بامرأة مغوية».

واكفهرت عيناه عند التقائهما بعينيها، وهو يكمل كلامه: «فهذه الطبقة الساكنة خدّاعة وتخفي طبيعة وحشية جامحة، ومثيرة في آن معاً..».

سرت قشعريرة في جسمها، لطالما علّق دانتي على العواطف الجياشة الكامنة تحت مظهرها المتحفظ. جاهدت ميراندا للسيطرة على الرغبة التي أخذت تتحرك في أحشائها... لا عجب أن تتوق إليه بكل جوارحها.. فعلاقتهما تميزت بجموحها، وكأنهما لا يكتفيان من بعضهما البعض.

عضت على شفتها. هل كانت علاقتهما تقتصر على الرغبة الجسدية فحسب؟.. لن تعرف ميراندا ذلك أبداً، فخبرتها في الأمور العاطفية بسيطة جداً لتتمكن من المقارنة.

منذ بلوغها الحادية والعشرين من عمرها، ارتبطت ميراندا به، وهي لا

تزال فتاة بسيطة ساذجة، تجهل تماماً خفايا العلاقات الحميمية. إلا أن دانتي أيقظ في أعماقها، مشاعر غريبة، وحطم الإطار الجليدي الذي أحاطت نفسها به، خاصة في القضايا العاطفية.

كانت ليلتهما الأولى معاً محمومة، وتمكن دانتي من رفع النقاب عن جانب مهمل في شخصيتها، جانب مفعم بالأحاسيس المتقدة أثار ذهولهما معاً.

ومع مرور الوقت، تطورت علاقتهما نحو الأفضل وأصبحت أكثر انسجاماً وقرباً... ربما بالنسبة إليها فحسب...

اشاحت بنظرها بعيداً عنه حتى لا يرى الحمرة التي أخذت تزحف إلى بشرتها..

أحست بنظراته المسلطة عليها، لكنها لم تجرؤ على الالتفات للتأكد من ذلك. يكفيها أن قربه منها يزرع الفوضى في حواسها، عليها أن تنهي هذه المسألة وتأخذ كارلو وتعود به إلى ديارها، غير أنها لم تستطع مقاومة إغراء توجيه ضربة أخيرة له، وقد أحست بأن جروح قلبها لم تندمل بعد.

عليها أن تستغل الفرصة المتاحة الآن أمامها لتضع النقاط على الحروف، قبل أن ترحل عنه إلى الأبد. فهي لا تتحمل أبداً أن يجور عليها. فلا يستبعد أن يأتي في يوم من الأيام لزيارة كارلو، فيزرع في ذهنه الأكاذيب ويشوه صورتها أمامه.

حدقت به بعينين ملؤهما الغيظ وقالت له بحدة: «لا يرى المرء إلا ما يريد رؤيته. أظنك تسرعت في الحكم عليّ فأنا كنت مريضة في ذلك اليوم المشؤوم!».

التقت نظراتها المتمردة بنظراته، فعضت على شفتها لتمنع نفسها من الإجفال ذعراً وهي ترى الاشمئزاز في عينيه، إلا أنها صممت في سرها على أن تصحح هذا الخطأ مهما كلف الأمر، فسألته: «هل اعترفت يوماً بخطئك يا دانتي؟».

أجابها مدمدماً: «لم أرتكب في حياتي إلا خطأً واحداً يوم تزوجت بك!».

www.liilas.com/vb3

بدا حاسماً وواثقاً جداً من نفسه، فأحست بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري، وقررت أن تبعد كارلو عن هذا الرجل المصاب بجنون العظمة، في أقرب فرصة ممكنة.

- أظنك ارتكبت خطأ فادحاً، ولا شك عندي أنك ستعرف الحقيقة في نهاية المطاف.

ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت تقول: «ولكنني ضقت ذرعاً بك، وأريد رؤية ابني الآن».

- لا يحق لك أن تطلبي مني شيئاً!

أومضت في عينيه شرارات النقمة، فارتجفت ميراندا من شدة قساوتها. غير أن لهفتها الشديدة إلى ضم طفلها بين ذراعيها جعلتها تتململ ضيقاً وتقول له بنبرة مشوبة بالتوتر: «يحق لي أن أطلب منك كل ما أريده لأنك تحتاج إليّ. لا أظنك أرسلت في طلبي لتحدثني عن براعة آل سافيريني في اختيار أجمل بقعة على بحيرة كومو.. ما الذي تريده مني بالضبط؟».

- أريدك أن تتعاوني معي. تعالي لندخل إلى الغرفة!

أحست ميراندا بتسارع نبضها.. أخيراً سيتخلى دانتي عن عزة نفسه، ويظهر لها نبالته، فيسمح لها بأن تأخذ كارلو. لم تتصور ميراندا أبداً أن يعترف لها بعجزه عن الاهتمام بالصبي من دونها، فهو فخور جداً بنفسه ومن المؤكد أنه سيبذل وسعه ليحفظ ماء الوجه. لكن كيف تراه سيتمكن من تبرير فشله في إبعادها عن حياة كارلو؟

بلغت الحماسة منها مبلغاً فسمحت لنفسها بالجلوس في مقعد وثير، وراحت تنقر بأصابعها على ذراعيه.

راح دانتي يراقبها بإمعان وقد تحولت عيناه الداكنتان إلى كرتين من الحديد الأسود، تهددان بجعلها أكثر طوعاً من المعدن المنصهر.

سألها بصوت رقيق: «أتريدين فنجاناً من الشاي؟».

استشاطت ميراندا غيظاً من مماطلته. وعلى الرغم من ذلك، دبت الحياة في حواسها أمام نظراته المتفحصة، فأجابته بنبرة جافة: «شكراً لك».

بدا عازماً على إثارة توترها ومضاعفة عذابها. لم يكن بيدها حيلة، فوضعت ساقاً فوق الأخرى بنفاد صبر. وهي غير غافلة عن نظراته، التي لا تعرف الرحمة، المسلطة عليها.

عادت نيران الشوق تستعر في أحشائها، وتساءلت كيف يعقل أن يحرك مشاعرها، فيما هي تحتقره أشد الاحتقار!

قالت بصوت منخفض لتحثه على الكلام: «كارلو».

- نعم... كارلو!

من دون أن يعير عنصر الوقت أي اهتمام يذكر، انهمك بصب الشاي من الإبريق الفضي، وإضافة شريحة من الليمون الحامض إليه، قبل أن يضع فنجاناً خزفياً أنيقاً على الطاولة الصغيرة أمامها، ويعود ليجلس خلف مكتبه العريض. فسلمت ميراندا في سرها بأنه يدرك تمام الإدراك أنه سيد الموقف بلا منازع!

راحت تحدق به وهو جالس خلف مكتبه المهيب، وقد خلا وجهه من أي تعبير، فتسارع خفقان قلبها، وكأنه على وشك أن ينفجر بين ضلوعها!

- نعم!

لم تجد ميرندا بدأ من حثه على الكلام قبل أن تبدأ بالصراخ من شدة اضطرابها.

- في بادىء الأمر، أود أن أقول لك إن كارلو...

وتحولت نظراته إلى قبضتيها المضمومتين بقوة، وهي تقول: «هات ما عندك!».

- أعتذر منك. نسيت أن وقتك ثمين للغاية.

ثم أكمل بنبرة صوت ملؤها الجدية: «كارلو ليس هنا!».

توقف العالم عن الدوران من حولها، فبذلت كل ما وسعها كي لا تبدأ بالنحيب. رفعت ذقنها لتقابل عينيه المتقدتين، وقد أخذ جسدها يرتجف سخطاً.

- أيها الحقير! أتريد الانتقام مني؟

www.liilas.com/vb3

جاء صوتها خافتاً، وغشت عينيها سحابة سوداء تنذر بهبوب عاصفة هوجاء.

أجابها دانتي بهدوء: «لست حقوداً إلى هذا الحد».

لاحظت ارتجاف يديه وهو يرفع فنجان الشاي إلى فمه ليرتشف القليل منه. وإذا بمشاعر الخوف تتسلل إلى قلبها محطمة قناع رباطة الجأش الذي تسلحت به فصاحت: «يا رب السماوات! ماذا حل به؟».

وانفرجت شفتاها من شدة الهلع، فرد عليها ساخراً: «أتخشين أن تفقدي وسيلتك الوحيدة للمقايضة؟».

صرخت بملء صوتها وقد امتقع لونها: «هل.. هو.. بخير؟».

- إنه بخير.. أردت مناقشة الموضوع معك أولاً!

استرخت ميرندا في مجلسها، عاجزة عن وضع ثقتها الكاملة به، فيما راح ناقوس الخطر يدق في رأسها.

- حسناً ادخل في صلب الموضوع!

صممت ميراندا على عدم مجاراته في لعبته، فأومأ برأسه قائلاً: «حسناً... سأشرح لك الوضع».

أسند ظهره إلى الكرسي وعيناه الداكنتان لا تفارقانها، فأصيبت ميراندا بالدوار، وشعرت بالنوبة العصبية على مسافة قريبة جداً منها.

من المؤكد أن دانتي أحس بيأسها، إذ زم شفتيه واستطرد يقول: «علي أن أوضح لك سبب استدعائي لك على وجه السرعة!».

وأحست بجسدها يتحول إلى قطعة من جليد... فنبرة صوته لا تبشر بالخير.

- أرجو منك أن تفعل!

كانت نظراته مشوبة باللوم، في حين بلغ خفقان قلبها مستوى مقلقاً.

- في الأيام الأولى، شعر كارلو بالإثارة لقيامه برحلة على متن الطائرة، وانتقاله للإقامة في منزل جديد في ميلانو. حاولت أن أكرس له وقتي كله، وكان مسروراً جداً بذلك!

- نعم!

أرادت ميراندا أن تقول له إنه من البديهي أن يشعر بفرحة كبيرة، لأنه لم يألف هذا الاهتمام من والده. لكنها عدلت عن ذلك خشية أن يؤدي بها التهكم إلى طريق مسدود.

أجابها برفق: «يؤسفني القول إن اهتمامي به لم يكن كافياً ليحل محل الحب العظيم الذي يكنه لك!».

أخذ دانتي نفساً عميقاً، فصدت ميراندا موجة الارتياح التي غمرتها، وقالت: «ألا تظن أن هذا أمر بديهي؟».

- لم أتخيل ذلك أبداً!... فعلى الرغم من افتقارك إلى عاطفة الأمومة، يبدو جلياً أن كارلو يفتقد وجودك قربه!

أرادت أن تشهق بالبكاء، لكنها بذلت وسعها للحؤول دون ذلك، كي لا يلاحظ دانتي مدى تأثرها بملاحظته الأخيرة. يا لطفلها المسكين! إنها المرة الأولى التي يبتعد عنها! لا شك أنه ذاق الأمرين وذرف دموعاً غزيرة...

أحست فجأة بعجزها عن ضبط نفسها أكثر وقد أخذت صور كارلو وهو غارق في دموعه والارتباك بادٍ على وجهه الصغير تعذب أفكارها!

- إنني مشتاقة إليه كثيراً! كيف استطعت أن تلحق به الأذى إلى هذا الحد؟ كان حرياً بك أن تعي عواقب أفعالك!

- لكنني لم أفعل! حسبت أنه قد يشتاق إلى مربيته أكثر، نظراً لأنك عهدت إليها مسؤولية الاعتناء به!

- هذا غير صحيح!

صاح دانتي بملء صوته: «سمعت عكس ذلك!».

ثم هز رأسه وعيناه السوداوان لا تفارقان قسمات وجهها المتوترة: «علمت أن كارلو لم يكن يراك إلا لماماً!».

- هذا كذب!

لم تتوانَ عن التفوه بأول كلمة طرأت على رأسها وقد بلغ غضبها ذروته.

- لا أظن ذلك، فأنا الشخص الوحيد الذي عامله بحنان ورقة.

- هذا هراء! فأنا وكارلو لم نعد نراك في المنزل خلال الأشهر القليلة الماضية.

- إنك تبالغين. صحيح أنني كنت أزور عمي باستمرار للاطمئنان على صحته...

- وثروته!

وتابع دانتي كلامه، متجاهلاً تعليقها اللاذع: «ولكن كلما تواجدت في المنزل كنت أكرس له وقتي كله... بدا واضحاً أن الصبي يفتقر إلى العاطفة، فكلما جلست معه تعلق بي وأبى أن يدعني أرحل».

- لأنك كنت تسبب له الارتباك. فهو لا يعرف متى تغادر المنزل ومتى تعود إليه.

أجابها صارخاً: «إنه يحبني.. تعلمين جيداً أنه يحبني».

وافقته الرأي على مضض: «أجل».

- أما أنت فتريدين استغلاله!

صرخت مذهولة: «ماذا»؟

بدت عيناه أشبه بحجارة صلبة وهو يردّ عليها ببرودة: «إنه عملة نادرة... تعلمين جيداً أنني انتظرته طويلاً!».

قالت ذلك بقسوة وقد انقبض قلبها هلعاً: «أجل! وريث آل سافيريني!».

- إنه ابني، وأريده إلى جانبي!

كان دانتي يتحدث بانفعال شديد، فأدركت ميراندا أنها على وشك أن تخوض معركة مضنية.

- لعلك ترين فيه وسيلة لابتزاز المال أو للانتقام مني، بعد أن ولى زمن استغلالي..

حاولت ميراندا ألا تفقد السيطرة على أعصابها فقالت بتأن: «دعني أوضح لك شيئاً هاماً! لا أرى في كارلو وسيلة للانتقام أو لابتزاز المال. إنه ابني وأنا أحبه. قطعت هذه المسافة كلها لأعيده إلى دياره لأنه يحتاج إليّ

بقربه. قلما يهمني ما قاله لك ذلك الشخص الكاذب، لكنني نذرت حياتي من أجل ابني، وأظنك لاحظت ذلك بنفسك، أم تراك أعمى؟».

رد عليها بعنف: «لست من النوع الذي يعبر صراحة عن عواطفه».

- هل تقارنني بالأمهات الإيطاليات؟ إنك تعرفني حق المعرفة! لست من النوع الذي يسرف في التعبير عن عواطفه، ولم أكن كذلك يوماً! حاولت ألا أدلل ابني وأفسده، لكنني غالباً ما كنت أعانقه وأقبله وأسهر على راحته. كيف يسعك أن تتهمني بأنني لا أحبه، في حين أن حبه يملأ روحي وينعكس في عيني؟ إنني أعبده! إنه ابني...

- يؤسفني ذلك! ولا أجد مبرراً لسؤاله عنك بلا انقطاع!

امتزج الألم بالبهجة والتوق الشديد في داخلها، أما دانتي فاشاح بنظره بعيداً وكأنه لا يحتمل أن يراها.

- يا لطفلي المسكين!

راعها أن يجد طفلها نفسه مرغماً على تحمل وقع هذه الصدمة بمفرده. حسناً، لم يعد أمام دانتي سوى الموافقة على منحها حضانته، رفعت ميراندا ذقنها بتحدٍ: «لا شك أنه وقع في حيرة من أمره حين اختطفته. لا أصدق أنك جعلته يتعذب إلى هذا الحد!».

- لم يكن بوسعي أن أتركه برفقتك بعد ما رأيته!

- أنا؟.

- إنك امرأة ساقطة. كنت برفقة رجل آخر في غرفة نومنا. عند وصولي، كانت حالتك تدل على ذلك، فيما تركت طفلنا يبكي لوحده في غرفته.

صرخت ميراندا مذعورة: «وهذا غير صحيح! كيف يمكنك قول ذلك؟».

- بصعوبة فائقة... أعرف جيداً ما رأته عيناي! كنت أشبه بالمخدرة، والدليل على خيانتك واضح للعيان ومن الصعب أن يغض المرء الطرف عنه.

أجابته بصوت خفيض أجش: «هذا كذب.. كذب.. إن كنت تريد ادعاء ذلك..».

www.liilas.com/vb3

انتفض دانتي بغتة والشراسة بادية على وجهه، فماتت الكلمات على لسانها، ولم تعد قادرة على متابعة حديثها. . كان وجهه مشدوداً من شدة الغضب، وعيناه تومضان بوميض الكراهية القاتل.

صرخ في وجهها بنبرة لاذعة: «يوم عدت من ميلانو على غفلة، لا أظنني تخيلتك فاقدة للوعي وأغطية السرير مبعثرة، وابني غارق في دموعه في غرفته. كنت في حالة من الوهن الشديد. . ورأيت آثاراً على جسمك تدل على أنك أقمت علاقة مع. . .

وتهدج صوته قبل أن يتابع قائلاً: «مع سافل حقير».

- لا! إنها كذبة خسيسة!

وإذ عادت ذكرى تلك الليلة تمر في ذهنها أحست وكأن رأسها سينفجر. فأحداث ذلك اليوم كانت أشبه بصورة مبهمة منفرة.

صاحت ميراندا بانفعال: «جلّ ما أنا واثقة منه هو أنني لم أخنك يوماً! قلت لك ذلك مراراً وتكراراً. كنت مصابة بالانفلونزا».

- لكن حرارتك لم تكن مرتفعة. تأكدت من ذلك بنفسي!

رفعت ميراندا يدها إلى جبينها وقد أصيبت بالغثيان تماماً مثلما حصل معها في ذلك اليوم.

شحب وجهها ميراندا فجأة وقد تذكرت أمراً ما. صبيحة تلك الليلة، رأت رضوضاً على جسمها. هل كان دانتي السبب؟ هل حاول الانتقام منها بهذه الطريقة؟

- رباه!

أحست بارتجاف كتفيها، فأسرعت تعود بأفكارها إلى اللحظة الحالية، لتجد عيني دانتي الداكنتين تحدقان بها باحتقار. تأملت سترته الأنيقة التي تغطي كتفيه العريضتين. عليها أن تقنعه ببراءتها، عله يعترف لها بما فعله، فتطوي بعدها هذه الصفحة إلى الأبد ويمضي كل منهما في سبيله.

قالت له بصوت أبح: «لا أعرف حقيقة ما حصل، لكنني أقسم لك. .».

- لا داعي لذلك. . أرى أنك لم تعي بعد حقيقة ما فعلته.
- هذا غير صحيح!
- بلى. . . كنت موجوداً ورأيتك بأم عيني!

ورماها بنظرة أكدت لها أنه على وشك أن يقول لها شيئاً هاماً، فسألته بصوت مرتجف: «ماذا؟ ما الأمر؟».

ظهرت في عينيه إمارات الازدراء فقال لها بغضب: «أظنك تدركين أنه في ظل الظروف الراهنة، لا أستطيع الوثوق بك للاعتناء بكارلو».

www.liilas.com/vb3
emma

٤ - الخيار الصعب

فقدت ميراندا السيطرة على نفسها، فقفزت من مكانها غاضبة، وصفعت وجهه المتغطرس المتعالي صفعة دوت كطلق ناري.

- أيها الفظ!

واندفعت نحوه بلا روية، وراحت تضرب على صدره بقبضتيها، وهي تقول: «أرسلت بطلبي من انكلترا، وبعثت الأمل في قلبي، في حين أنك لا تنوي أن تمنحني حضانة كارلو! كم أكرهك واحتقرك! إنك خسيس بكل ما للكلمة من معنى يا دانتي! كارلو يحتاج إليَّ.. تعلم جيداً أنه يحتاج إليّ».

وإذ بلغ حنقها ذروته أضافت تقول: «عليك أن تعي أن وجودي إلى جانبه ضروري! ألم تعدني بأن أراه؟ أنت وعدتني بذلك!».

أمسك دانتي بيديها وثبتهما خلف ظهرها. ثم رد عليها بسخط: «أعلم ذلك جيداً، ولا أظنك خرجت عن طورك إلا لأنك خشيت أن تخسري فرصة استخدام كارلو كوسيلة لسلبي نصف ثروتي».

قالت له صارخة: «لا أريد مالك أو أملاكك التي استوليت عليها بطرق ملتوية. وحده كارلو يهمني. يمكنك معاقبتي قدر ما تشاء، لكن لا تعاقب طفلاً في الثالثة من عمره».

التصق جسدها بجسده بقوة، فأضحى وجهها على مقربة من وجهه.. وإذا بوخز الخوف يتسلل إلى قلبها، وقد رأت شرر الغضب يتطاير من عينيه السوداوين.

- أؤكد لك أنني لن أدع كارلو يتعذب بعد اليوم! كيف تجرؤين على القول إنني قد ألحق به الأذى؟ لِمَ تحسبينني تغاضيت عن كبريائي، وعرّضت شرفي

للشبهة بإحضارك إلى هنا؟ فالحق يقال إنني لا أهتم مطلقاً لأمرك، وكلما فكرت فيك وفي ذلك السافل الذي عاشرته، تأججت نيران الاشمئزاز والألم في داخلي. أشعر بالخجل الشديد لأنك ألحقت العار باسم سافيريني... ليتني لم أقابلك يوماً... ليت القدر لم يضع في طريقي امرأة سطحية متحجرة القلب مثلك، لم توافق على الزواج بي إلا للاستمتاع بثروتي!

صرخت ميراندا مذهولة: «ماذا؟ هذا هراء!».

- وها أنت الآن تحبكين الدسائس للإفادة قدر المستطاع من هذا الموقف البائس.

وأضاف مقلداً صوت ليزي الخشن: «لا تنسي أن تجيدي اللعب».

تسمرت ميراندا في مكانها مذعورة. يبدو أن السائق نقل له ملاحظات ليزي بحرفيتها.

- دانتي... أنا..

تفوهت باسمه بصوت مخنوق...

- أصغي إليَّ جيداً!

قال لها ذلك مزمجراً فارتعدت فرائصها، ثم أكمل كلامه قائلاً: «ألا تدركين أنني لم أتخذ هذه الترتيبات إلا بدافع من يأسي؟ فأنا أجازف بكل ما لدي. والله وحده يعلم حجم الضرر الذي قد تلحقينه بابني، ولكن ما باليد حيلة فهو شديد التعلق بك».

رمشت ميراندا بعينيها حائرة، تحاول أن تفهم مغزى كلامه..

- عن أي مجازفة تتكلم؟ لِمَ أحضرتني إلى هنا إن كنت لا تريد السماح لي بإعادة كارلو إلى انكلترا؟

قال متمتماً وقد تحول فمه إلى خط رفيع من شدة القسوة: «إليك اقتراحي!».

أجابته بصوت أبح: «ما هو؟».

أخذ يسوي سترته التي أفسدتها عند هجومها المسعور عليه، وقال: «على الرغم من أن مظهرك البارد يوحي بعكس ذلك، أعلم جيداً أنك تتلهفين

www.liilas.com/vb3

لرؤية كارلو، لكن هيجانك المفرط هو خير دليل على أنك ضحية انفعالات تعجزين عن التحكم بها...».

صرخت ميراندا بملء صوتها: «أنكرت عليَّ حق حضانة طفلي، والأم يفقد المرأة صوابها..».

- أرجو أن تعفيني من العواطف الزائفة لأنني لم أعد أصدقها... المشكلة يا ميراندا هي أنك لم تصغي إلى كلامي حتى النهاية، وأسرعت توجهين لي الاتهامات جزافاً. لا يمكنك أن تنكري أن مصلحة كارلو تهمني

أجابته بنبرة كئيبة:

- هذا صحيح، لكن من وجهة نظرك الملتوية!

حملق فيها غاضباً: «سأتجاهل ملاحظتك السخيفة هذه. فلسوء الحظ تفرض مصلحة ابني عليَّ أن أدخلك في اعتباراتي».

حبست ميراندا أنفاسها ونظرت إليه بحذر. من المؤكد أنه وجد حلاً لهذه المسألة...

التقت عيناها بعينيه الغاضبتين، وتمنت لو أن نظراتها تعبر عن حقيقة مشاعرها، ثم قالت: «قل ما عندك!».

- اجلسي!

لم تذعن ميراندا لطلبه وبقيت واقفة مكانها وقد رفعت رأسها بتحدٍ.. وتمنت في سرها ألا يتمكن من قراءة الإشارات التي يرسلها جسدها الخائن

قالت له بنبرة اتسمت بالحدة أكثر من المعتاد، حتى لا يخالها عاجزة عن مقاومة إغرائه: «لا أسمح لأحد بأن يعنفني، لا أنت ولا أحد سواك».

وتألق في عينيها الزرقاوين الباردتين وميض فضي، ورفعت رأسها بتعالٍ..

استشاط دانتي غضباً لسبب لم تعرفه، واستدار نحو النافذة وحركاته تفتقر إلى التناسق، على غير عادته..

بدا منكباه العريضان قويان، فعضت على شفتها، وهي تسلم في سرها بأنه نال مبتغاه واستطاع أن يسيطر عليها ويلقنها درساً لن تنساه أبداً. فمن

يجرؤ على ازعاج دانتي سافيريني، عليه أن يتحمل العواقب.

قطبت ميراندا جبينها آبية الخنوع، فهي لم ترتكب أي خطأ. ويوماً ما ستجلى له حقيقة ما حصل تلك الليلة، وسيجد نفسه مرغماً على الاعتذار منها!

أعلن دانتي بصوت بارد: «يحتاج كارلو إليك».

ردت عليه بحدة: «يبدو أننا متفقان على شيء ما!».

استدار دانتي على عقبه بغطرسة واستطرد يقول غير آبه برد فعلها: «ستتمكنين من العيش إلى جانبه!».

سألته لاهثة وقد أضاء الأمل وجهها: «هل ستمنحني حضانته؟».

أومضت عيناه السوداوان، وتحول فمه إلى خط رفيع وهو يقول: «كلا».

ارتمت ميراندا في مقعدها مصعوقة كما لو أن أحدهم سكب عليها دلواً من الماء المثلج..

- ما الذي تقصده إذن؟ لقد عيل صبري. قل لي في الحال ما الذي تريده مني، وإلا حطمت المكان على رأسك.

والتقطت تمثالاً صغيراً عن طاولة المكتب وحملته عالياً بيدها المرتجفة مضيفة: «وسأبدأ بهذا!».

صر دانتي على أسنانه وأجابها: «هذا ما أحاول أن أفعله... لكن الأمر صعب عليَّ..».

- أتظنني أهتم لأمرك؟

بدت تعابير وجهه متوعدة وهو يقول: «كلا، لا أعتقد أن أمري يهمك. يمكنك اعتبار المسألة أشبه باتفاقية عمل».

- ماذا؟

- سنعود زميلين كما في الماضي.. كانت علاقتنا ناجحة يومها..

عقدت ميراندا حاجبيها حائرة، وعلّقت بالقول: «كنت يومها سكرتيرتك. أتريدني أن أعود للعمل معك؟».

- ليس تماماً. لا أظن أن أياً منا يود استعادة تلك الأجواء الحميمة التي

سادت بيننا، يوم كنت أجلس خلف مكتبي أتلو الرسائل عليك، وأنت..

وتوقف فجأة عن الكلام، إلا أنه تمكن من بعث ذكريات طيشها وحبها الأعمى له، في رأسها..

ابتلعت ميراندا ريقها بصعوبة، وتململت في مقعدها. أما دانتي فبدا عابس الوجه، شفتاه مزمومتان، كأنه شعر بالاشمئزاز من اللعبة التي أرغم على المشاركة فيها، يوم ادعى وقوعه في هوى سكرتيرته. وعلى الرغم من ذلك، لم تستطع ميراندا أن تنكر أنه حملها على أجنحة السعادة.

- إذن؟

جاهدت ميراندا لتضع حداً للعذاب الذي سببته تلك الذكريات العنيفة! لم يرد دانتي عليها على الفور، فاشتدت كراهيتها له وتمنت لو أنه يكف عن مماطلتها، إلى أن قال: «اقترح عليك الانتقال للعيش في هذا المنزل. أريد أن نظهر أمام الناس في صورة الزوجين السعيدين».

سألته ساخرة: «وهل يعقل ذلك ونحن نكنّ لبعضنا عداوة شديدة؟».

- لن ندع أحداً يعرف حقيقة مشاعرنا، وسنبذل وسعنا ليتأكد الجميع من أننا على وفاق. وعلينا أن نتعامل بتهذيب واحترام أمام الناس، من أجل مصلحة ابننا. لا أجد ضرورة للتظاهر بالحب، لأن ذلك يفوق قدرتي على التحمل، ولكن علينا أن نحفظ ماء الوجه.

- لا بد أنك تمزح!

- بل أنا جاد في كلامي. وسنحرص على تجنب الخصام والملاحظات اللاذعة أمام كارلو والباقين!

بدت عيناه مخيفتين، فامتقع وجهها، وتراجعت خطوة إلى الوراء، وهي تحاول أن تستوعب اقتراحه ولائحة الممنوعات والمسموحات التي تلاها على مسمعها. حدق دانتي بها لبضع ثوانٍ.. وإذ لم تنبس ببنت شفة من شدة ذهولها، استطرد يقول لها: «واحرصي على أن تكون حياتك الشخصية خالية من أي عيب، فلا تتصرفي تصرفات طائشة، وتسببي لي الفضائح بخروجك مع رجال آخرين. إن فعلت ذلك طردتك من المنزل، مفهوم؟».

رفعت ميراندا يدها إلى صدغها تتحسس نبضها المتسارع، وهي تقول: «هذا هو سبب إبعادك له من هنا! لم تشأ أن تدعني أراه إذا ما رفضت عرضك السخي. اعلم إذن أنني لا أنوي الموافقة على هذا الحل الخالي من أي شعور.. من المستحيل أن أعيش معك، ولا تخالني قد أغادر هذا المكان قبل أن..».

- سأستدعي رجال الشرطة لإخراجك من هنا.

وافتر ثغره عن ابتسامة واهية ما إن لاحظ ارتخاء كتفيها..

- ربما، لكنني لن أرحل بسلام، بل سأثير فضيحة.

لم تخلُ نبرة صوتها من التهديد، فأجابها على الفور: «عندها سوف يتعاطف الجميع معي لأنني ارتكبت خطأً فظيعاً بزواجي بامرأة فاسقة.. وكوني واثقة من أن تصرفك هذا سيجعلك تخسرين حق رؤية كارلو. علاوة على ذلك، لا أظن أن أحداً قد يصدق كلامك. وبعد أن أكشف عن الأسباب التي دفعتني إلى إبعاد كارلو عنك، ستمنحني المحكمة حق حضانته منفرداً، وتأمر بإبعادك، باعتبارك شخص غير مرغوب فيه».

أظلمت عينا ميراندا، وحاولت أن تبحث جاهدة عن بصيص أمل لتتمكن من مقاومته. ترقرقت الدموع في عينيها، وهي تفكر بالتعاسة التي يعاني منها طفلها، فحكّت رأسها علّها تجد سبيلاً لتتغلب على دانتي. وبعد قليل، صححت كلامها قائلة: «في هذه الحالة قد أرحل بسلام وأبقى في الجوار، فيبدأ الناس بالتساؤل عن السبب وراء تعاسة ابنك، في الوقت الذي تقف فيه والدته خلف باب منزلك، بانتظار أن تلمحه من بعيد!».

تصلب فكه، وسألها: «كيف ستتمكنين من البقاء من دون مال؟ آه.. يا له من سؤال سخيف ومؤهلاتك العالية بارزة أمامي!».

صرخت محبطة: «إنك رجل مهووس!».

كان دانتي محقاً بشأن افتقارها إلى المال، والحل الوحيد هو الرضوخ لإرادته. قالت له بفظاظة في محاولة منها لتوجيه ضربة أخيرة إليه: «كنت سعيداً جداً يوم كنت أشاركك سريرك».

- نعم، فأنت بارعة في التمثيل.

www.liilas.com/vb3

أحست ميراندا بأنفاسها تعلق في حلقها، فيما تابع دانتي يقول: «لكن تلك الأيام ولت، ومن الأفضل أن تنظري إلى دورك في المستقبل من هذا المنظار. كنت أحسبك سعيدة بمشاركة الرجل الذي وقعت في حبه السرير، لكن الحقيقة هي أنك بعت نفسك لي، أليس كذلك؟».

كذّبت نظرات عينيه تلميحاته المبطنة إلى انتهاء علاقتهما الجسدية، بدا جلياً أن كل خلية من خلايا جسمه تحترق شوقاً إليها.. شعرت ميراندا بذلك، فهي رأته مرات عدة، ولا يمكنها أن تشك في ما تراه الآن.، أدركت أن توقه إليها يضاهي توقها إليه.. لن تنطفىء شعلة اللهفة المستعرة بينهما إلا مع مرور الوقت... هل يعقل أن ينسيا ذكرياتهما الجميلة معاً بين ليلة وضحاها؟

فكرت أن رفض دعوته المبطنة يتطلب إرادة حديدية، إلا أنها مرغمة على القيام بذلك كي لا يدمرها. وحده كارلو يهمها، ولا شيء قد يردع دانتي عن تنفيذ تهديداته، مما يعني أن الخيارات المطروحة أمامها محدودة للغاية!

- إن قبلت باقتراحك السخيف هذا، أريد ضمانات أكيدة على أنك لن تحاول لمسي!

يا للغرابة! ما إن اعلنت ميراندا ذلك حتى أحست بالبؤس يغمرها.. أيعقل ألا يتصالحا أبداً؟ في مطلق الأحوال لن تتمكن من الوثوق به أو النظر إليه باحترام..

خرق دانتي الصمت المطبق الذي خيم عليهما، قائلاً لها بصوت فاتر: «أفضل تقبيل صرصار على لمسك!».

أجفلت ميراندا عند سماعها إهانته الخسيسة، وجاء ردّها سريعاً: «أؤكد لك أن الشعور متبادل».

أو أنه قد يصبح كذلك بعد أن تشفى من حبه.. وتابعت تقول: «دعني أوضح لك شيئاً هاماً.. كنت مريضة تلك الليلة، ومريضة جداً. في الواقع، لم تتحسن حالتي إلا بعد مرور عدة أيام، ولم يتوقف الأمر على اختطافك طفلي، على الرغم من حسن رعايتي له، بل...».

- إنها مسألة قابلة للنقاش!

عادت تؤكد له قائلة: «كنت أقوم برعايته بشكل جيد، لكنك رحلت بعيداً من دون أن تفصح عن وجهتك، وكأنك تخشى مواجهتي. إنها تصرفات تليق برجل قاسي القلب لا يعرف الرحمة، رجل خسيس وجبان يا دانتي. في يوم من الأيام، خيل إليّ أنك بطل، لكنني الآن احتقرك! كيف تريدني أن أعاملك باحترام في حين أنني لا أكن لك إلا الكره والازدراء؟».

هز كتفيه استهجاناً، وأخذت شفتاه ترتجفان كدليل على أن كلماتها بلغت هدفها: «تعلمين جيداً أنني وجدت نفسي مرغماً على إبعاد كارلو عنك!».

قال لها ذلك بنبرة خافتة وقد أخفض رموشه كي لا تقرأ في عينيه إمارات العذاب. وتابع كلامه قائلاً: «كان عليّ أن أمنحه فرصة ليعيش بعيداً عنك وعن تأثيرك المؤذي. لم أكن سعيداً بذلك يا ميراندا، ولست سعيداً بقراري الحالي، لكن ما باليد حيلة.. ربما سأحاول أن أفطمه عنك.. لست أدري.. ولكنني سأحرص على ألاّ أتركك معه من دون رقيب».

أيريد أن يلعب معها لعبة العائلة السعيدة ليتخلص منها بعد ذلك؟ محال! بدا مقتنعاً تماماً بأن لتصرفاته أسباباً وجيهة. فهو مستعد مثلها للموت في سبيل ابنه، ولن يتراجع عن قراره مهما حصل.

أدركت ميراندا أنهما يدوران في حلقات مفرغة، فرفعت يدها بحذر، تتحسس رأسها الذي كان يؤلمها. أيام طويلة مرت عليها لم تذق خلالها طعم النوم أو الزاد، وهي تطارد دانتي من مكان إلى آخر، في العواصم الأوروبية، حتى استنفدت قواها كلها وباتت تفضل الاستسلام على المضي في مقاومته.

- دعنا ندرس اقتراحك من جوانبه كافة.

قالت له ذلك بصوت مرتعش من شدة الإعياء، وأكملت كلامها قائلة: «ما الذي يدور في رأسك؟ هل ستدعني أقيم في غرفة خاصة بي؟».

- ليس تماماً. سأخصص لك جناحاً، لا يمكنك الوصول إليه إلا عبر غرفتي تفادياً للقيل والقال. وسأضع في خدمتك شابة قريبة لي، يمكننا الوثوق بها كي لا تفضح سرنا أمام أحد. ولا داعي لمحاولة التسلل إلى غرفتي، لأنك

www.liilas.com/vb3

ستجدين في انتظارك قفلاً كبير الحجم.

تضرج خدا ميراندا، وقالت: «يسرني سماع ذلك! ويستطيع كل منا الاكتفاء بتقبيل الصراصير. بقي أمر أخير؛ إن انتقلت للعيش هنا أفضل أن أكسب رزقي من عرق جبيني».

وإذ لاحظت أن ذهنه المريض سلك سبيلاً منحرفاً، أسرعت تضيف: «أقصد كسكرتيرة!».

نظر إليها بازدراء قائلاً: «لكن زوجة الكونت لا تعمل».

هتفت ميراندا مندهشة: «كونت! يبدو أنك ارتقيت سلم المجد، وإن خطر لي أن أتقدم بدعوى ضدك أمام المحكمة، لن أتمكن من كسبها أبداً، أليس كذلك؟».

- أبداً!

تملكتها فجأة رغبة بالفرار منه، من حضوره الطاغي، ومن هيمنته، ومن رائحة الفانيلا المنبعثة من جسمه.. لطالما عبقت هذه الرائحة في أنفها، وهو يعانقها.

راحت هذه الصور تزرع الفوضى في حواسها وتجعل رأسها يدور.

- إن الموافقة على عرضك هذا ضرب من الجنون.

- انسي ما حصل بيننا، وفكري فقط بابنتنا.. جلّ ما يهمني هو أن أؤمن له جواً مفعماً بالسعادة والأمان.

دس يديه في جيبي بنطلونه وقد بدا القلق عليه، ثم تابع يقول: «إن كنت تحبينه كما تدّعين، فلا بد أنك تتمنين له الشيء عينه! اسمعي يا ميراندا، لن أدعه يرحل عني أبداً. إنه ينتمي إلى هذا المكان. فهذا هو إرثه.. وحقه.. ومستقبله الواعد.. أتريدين حرمانه من ذلك كلّه؟

أجابته بصوت مرتجف: «أظنه يحتاج إلى الحب أكثر منه إلى المال».

- سيحظى بالحب الذي يحتاج إليه.

- وسط الجو المتوتر السائد بين والديه؟

ضم ذراعيه إلى صدره، والشرر يتطاير من عينيه: «إنني واثق من أننا

سنبذل وسعنا لننسى الماضي ونسوي الفوضى التي حصلت. إنها الطريقة الوحيدة يا ميراندا، صدقيني.. أمضيت ساعات طويلة أذرع أرض هذه الغرفة جيئة وذهاباً، بحثاً عن حل مناسب، فلم أجد أفضل منه..».

عضت ميراندا على شفتها وهي تسمعه يتكلم ببساطة مطلقة، بنبرة تخلو من المشاعر.. لم تتصور يوماً أنه بارد وقاسي القلب إلى هذا الحد.

- لست أدري.. أحتاج إلى بعض الوقت. دعني لوحدي لأفكر بالأمر..

- ما الذي تريدين التفكير فيه؟لو كنت مكانك، لن أتوانى عن التخلي عن كل شيء من أجل ابني.

ها هو ينتقدها صراحة، ومن دون أي تحفظ. أجابته بلهفة: «أفضل أن تجد لي منزلاً صغيراً في الجوار، أعيش فيه مع ابني..».

- كلا!

ظهرت على وجهه الصدمة، وقال: «لا أستطيع الوثوق بك لتؤمني له الرعاية اللازمة. علاوة على ذلك، سيرث كارلو أعمالي، ومصانع الحرير، والمراكز التجارية المنتشرة في أنحاء العالم أجمع، وهذا القصر، والشقة في ميلانو، والمنزل في انتيغا، والفيلا في فينيتو، إلى جانب الأموال النقدية. وعليه أن يتعلم كيفية إدارة هذه الثروة الهائلة».

صرخت ميراندا مصعوقة: «لكنه في الثالثة من عمره!».

لم تكن ميراندا تعي حجم إرث دانتي، فأحست بعجزها عن السيطرة على الموقف، مدركة أن الغلبة له لا محالة.

- عليه أن يترعرع هنا ليتعلم كيف يتعامل مع الناس، فيدرك أن السلطة تعني مسؤوليات جمة وحساً بالواجب، وفي يوم من الأيام سيحمل لقب كونت سافيريني الثاني لذا لا يجدر به أن يلحق العار بالاسم أو يرتكب الحماقات بسبب افتقاره إلى حسن التصرف. أم لعلك تريدينه أن يُحرم من الميراث ليستولي عليه أخي غيدو؟

أجفلت ميراندا عند سماعها اسم غيدو، من دون أن تعرف السبب.

www.liilas.com/vb3
LIILAS.COM

وشعرت فجأة بحواسها كلها تثور رافضة فكرة استيلاء غيدو على حق كارلو بإرث أبيه.

- إنك تطلب مني الكثير. دعني أفكر قليلاً.

ثم أضافت بنبرة واهنة: «أرجوك! إنها خطوة عملاقة، وعلينا أن نعيش بقية أيام عمرنا في كذبة!».

بدا لها وكأنه يحكم عليها بالسجن المؤبد، لكنها كانت تعي في عمق أعماق قلبها أنها مستعدة للقيام بأي شيء من أجل طفلها.

- كما تشائين!

قال لها ذلك بصوت خشن لم تعتد على سماعه من قبل. لعله غاضب لأنها لم توافق على اقتراحه في الحال، وهو يحاول أن يكبح غضبه.

- أظنك تحتاجين إلى تنشق الهواء المنعش. سأرافقك إلى الحديقة حيث يمكنك التفكير ملياً في الأمر. أمامك ساعة واحدة فقط.

وتقدم نحو الباب بخطوة غير ثابتة، فيما فضحت يده المرتجفة على مقبض الباب توتره. وقعت ميراندا في حيرة من أمرها، وتساءلت بصمت إلى أي مدى تعتبر المظاهر مهمة بالنسبة إليه. هل لفت أحدهم انتباهه إلى أنه من غير اللائق أن يكون متزوجاً وزوجته لا تقيم معه تحت سقف واحد؟ أم لعل الطبقة الاستقراطية التي أضحى ينتمي إليها لا تحبذ الطلاق!

لحقت به على السلم وقد لاح لها من بعيد بصيص أمل. ففي هذه الحالة، يمكنها أن تضغط عليه قليلاً ليعدل شروطه..

- عزيزتي!

تعالى الهتاف الحار في الرواق الطويل فالتفتا معاً بحثاً عن صاحبه.

كانت والدة دانتي تقف بقامتها الطويلة عند عتبة الباب المفتوح، وذراعاها الممدودتان تلوحان لها بحرارة، فهتفت مذهولة: «سونيفا!».

وكم هالها أن تسمع نبرة صوتها المخنوقة، وقد سدت الدموع الحارة حلقها: «حبيبتي! يا للمسكينة!».

قالت سونيفا ذلك بصوت رقيق وأسرعت تجتاز الأرضية الرخامية،

مطقطقة بحذائها ذي الكعبين العاليين.

ولم تكد تمضِ ثوانٍ قليلة حتى وجدت ميراندا نفسها بين ذراعيها الناعمتين، وجسدها النحيل يضمها إليه بقوة، ويداها الرقيقتان تربتان على ظهرها، كأنها طفلة صغيرة!

- طفلتي المسكينة! كم أنا مسرورة برؤيتك!

بدا صوتها هامساً، ورائحة عطرها الثمين عابقة حولها.

- لا بد أنك ذقت الأمرّين في ذلك المستشفى بعيداً عن ابنك وزوجك. يسرني أن أراك في صحة جيدة.. لكنك تبدين أكثر نحولاً

وأمسكت بوجه ميراندا المذهول بين راحتيها مضيفة: «..وشاحبة الوجه! اسمع يا دانتي، لا أظنها شفيت تماماً.. علينا الاعتناء بها، أليس كذلك؟

وأخفضت صوتها حتى بات أقرب إلى الهمس: «ماذا عن الحمى؟ هل زالت كلياً؟ هل سمحوا لك بمغادرة المستشفى فعدت لتقيمي بيننا؟».

أخذت ميراندا نفساً عميقاً وحولت نظرها إلى دانتي.

أهذه هي الرواية التي أتى بها؟ أصيبت بمرض خطير معدٍ، أدخلت على أثره إلى المستشفى! يا له من كاذب خسيس!

صاحت سونيفا قلقة: «اسمعي يا عزيزتي، تبدين.. كيف أقول ذلك؟ مصعوقة... أظنها ستبقى معنا، أليس كذلك يا دانتي؟ كان مزاجه لا يطاق طوال فترة غيابك، ولم أعد أتحمل رؤية كارلو غارقاً في دموعه، طالباً رؤية أمه!».

- إنك تبالغين يا أمي!

صرخت ميراندا وقد حطمت كلمات سونيفا الأخيرة فؤادها: «نعم.. نعم.. سأبقى..».

بدا الارتياح على وجه دانتي، وأخذت عضلاته تسترخي الواحدة تلو الأخرى، فعقدت ميراندا العزم على بذل ما في وسعها من جهد لتثبت له أن اتهاماته كلها باطلة، وإلا تحولت حياتها كلها جحيماً.

www.liilas.com/vb3

٥ - أين ملاكي؟

- سأذهب لإحضار كارلو.

أعلنت سونيفا ذلك بنبرة حاسمة، قبل أن تتابع قائلة: «خلال وجودك في المستشفى، بذل دانتي جهده ليلعب دور الأب والأم في آن معاً. فكان حنوناً معه رقيقاً، يحاول بشتى الوسائل زرع البهجة في قلبه. واليوم، أعد له رحلة على متن القطار ليحضر حفلة مع الأصدقاء في إحدى الحدائق التي تكثر فيها...».

وحولت نظراتها نحو دانتي مستفهمة، فاستدرك هذا الأخير الموقف قائلاً: «القصور المطاطية والألعاب المسلية!».

ثم التفت نحو المرأة وأضاف: «شكراً يا أمي. إنه لمن دواعي سروري أن تذهبي لإحضار كارلو من منزل أصدقائه في كادنابيا، وهكذا يتسنى لميراندا أن ترتاح قليلاً قبل عودته».

- يمكنكما قضاء بعض الوقت سوياً. يا للروعة! يمكنك أن تأخذ قسطاً من الراحة معها يا دانتي.. أراكما لاحقاً.

أومضت عيناها بوميض ماكر وهي تبعث القبلات لهما، لتنطلق بعدها مسرعة.

قال دانتي بصوت أجش: «شكراً لك!».

- لماذا؟ ألأنني ساعدتك في الكذب على والدتك؟ إلى أي مستوى قد تصل نذالتك يا دانتي؟

كان الازدراء بادياً في صوتها، فدمدم دانتي مجيباً: «إنني على استعداد للقيام بأي شيء من أجل ابني».

نعم، كانت ميراندا واثقة من ذلك. اتكأت على أحد الأعمدة الرخامية وقد أنهكها التعب، ورأسها يكاد ينفجر من شدة الألم.

- هذا ما تبين لي. كم من الوقت يلزمها لتجلب كارلو؟

- عليها أن تستقل العبّارة لتجتاز البحيرة، وتتوجه بعدها إلى منزل صديق لي يقع على مسافة قريبة من البحيرة. أظنها تحتاج إلى ساعة أو أكثر لتقنع كارلو بالرحيل، وتعود به إلى المنزل.

أومأت ميراندا برأسها قائلة: «أحتاج إلى البقاء لوحدي قليلاً. أين يمكنني أن أستلقي لبعض الوقت؟».

- في غرفة المكتبة. لن يزعجك أحد هناك، ويمكنك الاستلقاء على الكنبة.

ومد يده ليساعدها، فانقبضت من تأثير لمسته وقالت بعنف: «أرشدني إلى الوجهة الصحيحة».

ولم يكادا يخطوان خطوات قليلة حتى علا صوت مرتفع، تعرفت عليه في الحال.. فهمهمت واجمة: «ليزي!».

- سأتولى أمرها. يمكنها قضاء الليلة هنا، على أن تستقل صباحاً أول رحلة متوجهة إلى لندن.

صرت ميراندا على أسنانها وقد أحست بتأنيب الضمير: «عليَّ أن أشرح لها..».

نصحها دانتي قائلاً: «اتركي لها رسالة صغيرة، ودعي أمرها لي. فإن دسست في حقيبة يدها مبلغاً محترماً من المال، ستبدي تعاونها حتماً. سأطلب من غيدو اصطحابها من المطار في لندن والسهر على راحتها!».

انزعجت ميراندا من احتقاره الجلي لليزي، لكنها سلمت بصمت بأنه على صواب. لم تكن قادرة على مواجهة أختها الآن. يمكنها أن تدعوها لاحقاً لزيارتها، وقضاء عطلة ممتعة برفقتها..

قالت له هامسة: «شكراً لك..».

وتركته يقودها إلى غرفة المكتبة حيث دونت رسالة سريعة لليزي، وسلمته

www.liilas.com/vb3

إياها.

أمست الآن قادرة على الاسترخاء. أحست بكل عظمة من عظام جسمها قد صارت هشة، فيما اشتد وجع عضلاتها، بعد ساعات التشنج الطويلة. رفعت ميراندا يدها تمسد جبينها بخفه، بعد أن تمددت على الأريكة. يا له من منعطف خطير سلكته حياتها! من الآن فصاعداً، ستعيش في هذا القصر بصفتها زوجة الكونتيسة!

أغمضت عينيها وقد شعرت بالرعب. كيف تراها ستتمكن من المضي قدماً في هذه التمثيلية المضنية، وتحمل العيش في بلد غريب لا تعرف فيه أحداً على الإطلاق؟

- ساعدني يا رب.. وامنحني القوة من أجل كارلو.

وإذ ملأت صورة وجهه الصغير المشرق ذهنها، رسمت على شفتيها ابتسامة تنبض بالسعادة وهمست قائلة: «سأراك قريباً... قريباً جداً..». وزال تشنج أعصابها، فاسترسلت في النوم بسرعة.

* * *

استيقظت ميراندا من نومها لتجد الغرفة غارقة في الظلمة، وضوء القمر الخافت ينعكس على الأرضية الرخامية فبدا سطحها متلألئاً كأنه بحيرة ماء راكدة. استقامت في مجلسها مذعورة! هل هبط الليل؟ ألقت نظرة عجلى على ساعتها فإذا بها العاشرة. تسمرت في مكانها مصعوقة... نامت أربع ساعات، ولم يفِ دانتي بوعده، ويحضر كارلو لتراه. أطلقت أنّة من الذعر وهبت من مكانها. راحت تركض حافية القدمين نحو الرواق الطويل، وشعرها المبعثر يتدلى حول وجهها المسعور وكأنه وشاح حريري. أخذت تصرخ غاضبة: «دانتي! دانتي».

وإذا بها تسمع وقع أقدام متسارعة وصرير باب يفتح، ليخرج دانتي منه مقطب الجبين: «ميراندا؟ ما الأمر؟».

- كارلو!

وأحست بعجزها عن التفوه بأي كلمة أخرى..

استرخت قسمات وجهه لدى سماعه اسم ابنه، فسألها بنبرة رقيقة: «إنه نائم، أتودين رؤيته؟».

عقدت اللهفة لسانها عن الكلام، فأومأت برأسها بصمت وقد أغشت الدموع عينيها.

- حسبت.. حسبت..

لوى فمه ازدراء: «أعلم ذلك، وأشكرك على ثقتك!».

سألته بصوت مرتعش فيما كان يقودها نحو السلم: «لمَ لم توقظني؟».

أجابها بجدة: «لم أجد داعياً لذلك، فبعد ساعات طويلة من اللعب، استسلم كارلو للنوم وهو في طريق العودة إلى المنزل».

- لا أجد حجتك مقنعة... جلّ ما كان يهمني هو أن أرى وجهه.

وأحست بغصة في حلقها فتوقفت عن الكلام.

- جئت لأبلغك بوصوله، فوجدتك نائمة وعلى ثغرك ابتسامة تشع بالسعادة، فلم يطاوعني قلبي على إيقاظك. أعتذر منك إن كنت قد أخطأت التصرف، لكن والدتي أيدتني الرأي قائلة إن ليلة أخرى لن تحدث فرقاً كبيراً، لاسيما وأن كليكما بحاجة للراحة.

أجابت ميراندا مدمدمة، وعيناها تومضان بوميض التمرد: «لأنني كنت مريضة؟».

خالجها إحساس غريب لدى معرفتها بأنه كان يتأملها وهي نائمة.

- آسف. كان حري بي أن أحذرك بشأن الرواية التي اختلقتها لأبرر غيابك، لكنني لم أتوقع أن تراك أمي. فبعد أن أخذت كارلو وغادرت لندن على نحو مفاجىء، لم أجد شيئاً أقوله لها أو لسواها.. وكنت عاجزاً عن الكشف عن الحقيقة!

وأظلمت عيناه فجأة، ثم أكمل قائلاً: «في مطلق الأحوال، لم أشأ أن يعرف ابني يوماً ما أن والدته أساءت التصرف... لذا، كذبت عليها في الوقت الذي كنت أحاول إيجاد حل يناسب الجميع!».

فتح دانتي باب غرفة عند أعلى السلم، ووقف جانباً مفسحاً لها المجال،

www.liilas.com/vb3
emma

فظهرت على ثغرها ابتسامة لهفة، فيما راحت عيناها تجولان في الغرفة المظلمة. لحق دانتي بها إلى داخل الغرفة ثم أقفل الباب خلفه. كان المصباح الصغير الموضوع قرب السرير، يلقي بأشعته في أرجاء المكان.

عقدت ميراندا حاجبيها وهي تتأمل السرير العريض ذي الأعمدة المزخرفة. وإذا بالذعر يستولي على حواسها وهي تلقي نظرة عجلى على المكان. فالغرفة تليق برجل، على الرغم من أثاثها الأنيق الذي يعود إلى القرن الثامن عشر.

ولم تكد تلمح عباءة دانتي الحريرية، العسلية اللون ملقاة على كرسي مجاور حتى حبست أنفاسها. لم تر أثراً لكارلو، فتأكدت ظنونها في الحال. إنها غرفة دانتي. لكن لِمَ أحضرها إلى غرفته؟ التفتت نحوه غاضبة: «أيها السافل.. دعني أخرج».

وقبل أن تنهي كلامها، أمسك دانتي بذراعيها وهمس في أذنها بنبرة حادة: «اهدئي... ستوقظينه».

أصيبت ميراندا بالدوار وكأن الزمن عاد بها إلى الوراء، حين أمسكت يداه بها، مع أنها اعتادت عليهما أكثر خشونة..

- انظري! هل صدقتني الآن؟

رمشت ميراندا بعينيها لتطرد الدموع التي أغشتهما، وأمعنت النظر، وإذا بخوفها يتلاشى في الحال وقد وقعت عيناها على طفلها النائم.

- كارلو!

وهرعت نحو السرير، ثم ركعت قربه بفرح يفوق الوصف.

- حبيبي! اشتقت إليك!

وأخذت نفساً عميقاً، تحاول أن تكبح رغبتها الجامحة بضم ابنها بين ذراعيها. كان ينام قرير العين، ورموشه الطويلة الكثة تلقي بظلالها على خديه الناعمين، وشفتاه الكرزيتا اللون مزمومتان.

- لقد جاءت ماما!

قالت له ذلك بصوت خافت علّه يسمع في أحلامه ما تقوله. وكرّرت مرة

أخرى: «لقد عادت ماما».

مدت يدها المرتجفة لتداعب يده الصغيرة من تحت كم رداء النوم المزدان بالديناصورات، والذي اشترته له قبل أيام قليلة من رحيله، فتنهد كارلو وارتسمت على ثغره ابتسامة عذبة. أشرق وجه ميراندا بهجة وقد خيل إليها أنه شعر بقربها منه، وذاب قلبها رقة وهي تسمعه يصدر أصواتاً غير مفهومة في نومه، تنم عن الارتياح.

أعادت الأغطية التي أبعدها دانتي لتتمكن من رؤية صغيرها، إلى مكانها، فتغلغل كارلو فيها يلتمس الدفء، حتى بات من الصعب رؤيته. راحت تسوي أغطية السرير الحريرية والمشاعر تتخبط في أحشائها. التفتت نحو دانتي وسألته: «لِمَ ينام كارلو في غرفتك؟».

توجه بخفة نحو الباب، وأومأ إليها برأسه لتلحق به. فغادرا الغرفة سوياً، وأقفلا الباب خلفهما. شرع بعدها دانتي يشرح لها ما حصل: «رفض كارلو النوم في غرفته، وكان يمضي الليل بطوله صاحياً يسألني عنك. فلا يغمض له جفن إلا إن حملته بين ذراعيّ، وإن وضعته لاحقاً في سريره أدرك في الحال أنني أنزلته من بين يدي، وراح يصرخ باكياً».

أجفلت ميراندا: «طفلي المسكين! كان يشعر أن في الأمر سوءً».

- أتظنين أنني لا أعي ذلك؟ أتظنني أن عذابه لم يمزق فؤادي؟ لم أتحمل أن أسمعه يبكي، فقررت أن اصحبه إلى غرفتي كل مساء. وها هو الآن ينام في سريري ملء عينيه، لأنه يشعر بالأمان فيه. أرجو أن يغير هذه العادة، مع مرور الوقت، ويعود للنوم في غرفته.

وأضاف بنبرة ملؤها الغضب: «لكنه يحتاج الآن إلى الحب، بعد أن عانى طويلاً من الإهمال».

قاطعته ميراندا ساخطة: «هذا هراء! إياك أن توجه لي الإتهامات جزافاً!».

وأحست بالغرفة تدور من حولها، رمشت بعينيها وابتلعت ريقها بصعوبة مضيفة: «ما رأيك لو تقودني إلى غرفتي؟».

www.liilas.com/vb3

رفعت عينيها نحوه فالتقت نظراتهما. . لاحظت أن العبوس زال من وجهه وحلت محله مشاعر جامحة جعلتها تحبس أنفاسها.

لم تقوَ على الكلام، ولم تجرؤ على الحراك. بقيت مسمرة مكانها تحدق به بيأس، آملة أن يزول توقها الشديد إليه مع الزمن. . أو ربما خلال الدقائق القليلة المقبلة.

أحست بالجو المتوتر في الغرفة يكاد يخنقها، وأخذت الدماء تجري حارة في عروقها. . .

- ادخلي إلى غرفتي، ثم توجهي يميناً نحو الباب المزدوج المؤدي إلى الجناح المجاور. سأوصد الأبواب عند صعودي بعد قليل.

جاء كلامه أشبه بصفعة مدوية. . فالتواء فمه هو خير دليل على إحساسه بالنيران المستعرة في أحشائها. لكنه يظنها امرأة فاسقة، ويأبى الإذعان لرغباته المتقدة، أو حتى مرافقتها بكياسة إلى غرفتها.

مكثت ميراندا في مكانها، تحاول جاهدة استعادة رباطة جأشها بعد الإهانة التي وجهها لها. ثم سألته بجفاء:

- في أي ساعة يستيقظ كارلو؟

- قرابة السابعة!

- هل أجدك مرتدياً ملابسك في هذه الساعة؟

- إن لم تجدي الباب موصداً، يمكنك الدخول.

- سأقرع الباب في مطلق الأحوال.

٦ - امرأة من حطام

- ميراندا! ميراندا!

أحست بأحدهم يهزها، فانفجرت باكية من خوفها وراحت تقاوم مهاجمها. لم تكن عضلاتها خائرة هذه المرة، فلامست قبضتيها جسمه.

ها هي الأحداث تعيد نفسها! اجتاحتها موجة من الغثيان، وأخذت تصرخ وهي في حالة من الهيجان الشديد. وإذا بيد تطبق على فمها. . لا! ليس ثانية. . خلال الكوابيس التي باتت تراودها مراراً في الآونة الأخيرة، اعتادت ميراندا على إبقاء عينيها مغمضتين. إلا أنها فتحتهما، في تلك اللحظة، على نحو مفاجىء.

كان النور مضاءً في غرفة الجلوس المجاورة لغرفتها، ودانتي منحنياً فوقها، وعباءته المفتوحة تكشف عن جسده العاري، إلا من بنطلون البيجاما الذهبي اللون.

- لا ترفعي صوتك!

انكمشت ميراندا على نفسها. . أهذا ما حصل لها في تلك الليلة المريعة؟

أسرعت تضربه بيديها وتركله برجليها، بشراسة لم تعهدها من قبل.

قاومها دانتي بعناد والاستياء بادٍ على وجهه: «قلت لك مراراً وتكراراً إنني لا أنوي الاقتراب منك. كنت تصرخين في نومك، وأظنه حلماً مزعجاً. حاولي الآن أن تسترخي. . لا أريد إيقاظ كارلو. أعلم أن غرفة الجلوس تفصل بين غرفتي النوم، لكنك كنت تصرخين بأعلى صوتك!».

حدقت ميراندا في وجهه الغاضب وقد أخذت تستعيد وعيها. . رباه! إنه الحلم المزعج عينه!

www.liilas.com/vb3

أحست بالاسترخاء يتسلل شيئاً فشيئاً إلى جسدها المتشنج، فأبعد دانتي يديه عنها!

أغمضت عينيها البائستين.. ألن تتخلص أبداً من هذه الكوابيس المريعة؟ كانت تلك الكوابيس تراودها كل ليلة، حتى أمست تخشى الاستغراق في النوم، لأنها تعلم جيداً أنها ستستيقظ لتجد نفسها غارقة في عرقها، ترتجف خوفاً من شيء تجهله.

كان رداء نومها الرقيق قد انزلق عن كتفها، فأسرعت ترفع الغطاء إلى أعلى ذقنها، تلتمس الدفء، قائلة: «أشعر بالبرد الشديد».

اشاح دانتي بوجهه المتجهم بعيداً، ثم توجه نحو الباب قائلاً:

- سأجلب لك شراباً ساخناً.

هتفت ميراندا وعلامات البؤس بادية على وجهها: «لا تتركني لوحدي!».

تسمر في مكانه، من دون أن يلتفت نحوها، فيما تدلت يداه في قبضتين على جانبيه، وأجابها بصوت أبح: «ما الأمر يا ميراندا؟ لم تكن الكوابيس تراودك من قبل».

وأدار رأسه لينظر إليها ويسألها: «هل تورطت في علاقة مريبة، أو ربما.. مع شخص كشف لك أموراً كنت تفضلين لو أنها بقيت مجهولة؟».

- لا! إطلاقاً!

ظهرت القسوة في عينيه، وارتجف صوته من شدة السخط، ثم قال بنبرة اتهامية: «لا بد أن هذه الكوابيس هي نتيجة أفعالك! فالله وحده يعلم من استقبلت في منزلنا».

- لا!

- من دون أن تفكري بالعواقب!

لوى فمه ازدراءً، وتابع مطلقاً اتهاماته: «كيف استطعت أن تعرّضي ابنك للخطر؟».

- لم أفعل! لم أفعل!

صاحت بذلك بنبرة مثيرة للشفقة، وتابعت تقول بإصرار: «ولن أفعل ذلك أبداً!».

أخذت شرارات الغضب تتطاير من عينيه وهو يقول: «لا أعرف كم مرة حصل ذلك من قبل.. كم أنت غبية وعديمة الإحساس بالمسؤولية!».

- لا!

أفلت منها أنين ألم فغطت وجهها بيديها..

كانت اتهاماته تزيد حالتها سوءً، وحاولت سدىً أن تقاوم نوبات الغثيان التي ألمت بها. لكنها وجدت نفسها عاجزة عن الدفاع عن نفسها، وقد عقد ارتعاش جسمها لسانها عن الكلام، وقبل أن تعي ما يحصل لها، وجدت نفسها محاطة بذراعيه الدافئتين، ورأسها متكىء إلى صدره الذي كان يضج بخفقان قلبه المتسارع. راح يهمس في أذنها بكلمات رقيقة، كأنها طفلة مذعورة وهو يحاول طمأنتها، فدست ذراعها حول عنقه تشده إليها بقوة، قائلة بصوت هامس: «أرجوك! ابقَ إلى جانبي!».

تأوه دانتي.. فأمسكت بوجهه بين يديها تحاول إقناعه بنظراتها المتوسلة.

- لا أظن ذلك!

أبعدها عنه بخشونة، مضيفاً: «لن أذهب بعيداً.. سأحضر لك الماء».

ونهض من مكانه، ثم توجه إلى الحمام مستطرداً: «ومنشفة لتمسحي وجهك بها. وأظنك ستشعرين بعدها بالتحسن».

تحولت نبرة صوته المداعبة إلى محايدة، وكأنها طفلة شرسة عليه أن يروضها: «ويمكننا أن نخلد إلى النوم بعدئذٍ».

مد يده ليناولها المنشفة: «خذي!».

أخذت المنشفة منه ومسحت بها العرق المتصبب من وجهها وعنقها، غير أن يدها كانت ترتجف بشدة، فلم تقوَ على حمل كوب الماء. وضع دانتي الكوب على شفتيها، مقطباً جبينه وهو يراها ترتشف الماء بعصبية.

اتسعت عيناها وتسارعت أنفاسها من شدة خوفها.. كم تكره الإحساس بالعجز الذي يصيبها في الحلم!

www.liilas.com/vb3

- إنه كابوس مريع جداً، إلى حد أنني أخشى الاسترسال في النوم ثانية.. فأنا واثقة من أنه سيراودني من جديد.

عقد دانتي حاجبيه قائلاً: «لم اعتد على سماعك تتحدثين بهذه النبرة السلبية الانهزامية».

- أعلم ذلك.. لكنني أعيش الكابوس بحذافيره.. أرى أحدهم يهاجمني، ولا أستطيع أن أحرك ساكناً لأردعه، هذا الكابوس المزعج يقض مضجعي ليلة بعد ليلة، وأحياناً في وضح النهار. وفي كل مرة، يُرفع النقاب عن جزء خفي منه».

خلت ملامح وجهه من أي تعبير وهو يقول لها: «استرخي، ولا تحاولي إحياءه في ذهنك. عليك نسيانه!».

ليت الأمر بهذه البساطة! ضاقت ميراندا ذرعاً بهذه الكوابيس المريعة، فأغمضت عينيها متململة، وإذا بيده تمسك بيديها لتخفف من ارتعاشهما. كان دانتي يتحلى بقدرة سحرية على زرع الإحساس بالأمان في قلبها... إحساس قد يكون ثمرة أوهامها فحسب.

رمته بنظرة ملؤها الامتنان قائلة: «شكراً لك! أشعر بالأمان بقربك».

ثم صرخت محتجة حين هم بسحب يده: «لا.. أرجوك».

فأجابها برقة: «كوني واقعية، لا يمكنني البقاء».

- أحتاج إلى وجودك قربي لأستعيد هدوئي.

إنها تكره ذلك الإحساس بالذعر الذي حولها إلى امرأة ضعيفة الإرادة مثيرة للشفقة!

- لا أعرف ما أصابني يا دانتي! أعلم أنني سببت لك الإزعاج بما فيه الكفاية، لكنني أخشى البقاء لوحدي حتى لا يغلبني النعاس... أرجوك.. أتوسل إليك.. ابقَ قليلاً بعد!

- أنت مشوشة الذهن. وعليك أن تحددي السبب وراء ما يحصل لك! لم أرك يوماً في هذه الحالة. أعتقد أنك تعرضت لصدمة بقيت كامنة في اللاوعي، فإن تذكرت ما جرى بالضبط ستتمكنين من مواجهة الأمر.

نظرت إليه بقلق، وكلها أمل في أن يبقى معها. فحين أمسكت بذراعه، أحست بقوة غريبة تنبعث منه وتتسلل إلى أعماقها. واعترفت لنفسها بصمت بأنها تحتاج إليه بشدة، وتتوق إلى دفء حضنه.

- لا تتركني، أرجوك!

قالت ذلك بصوت أجش واللهفة بادية في عينيها. أطلق دانتي تنهيدة استسلام ودمدم متأففاً: «حسناً.. سأبقى إلى أن يغلبك النعاس».

سحب يده من بين يديها، وتناول الوسادات الموضوعة على السرير، وكدسها خلف ظهره، ثم أراح جسده عليها، متفادياً الجلوس قبالتها!

اقتربت ميراندا منه وقد غمرتها موجة من الارتياح!

- ليتني استطيع أن أفهم لمَ تراودني هذه الأحلام المزعجة!

أجابها متذمراً: «أظن أن الأسباب واضحة. متى بدأت تراودك؟».

- في اليوم التالي لرحيلك!

ساد الصمت العميق لبرهة من الزمن، قبل أن يخرقه دانتي مدمدماً: «كنت واثقاً من ذلك! من الأفضل أن تحاولي النوم».

لكنها لم تكن مستعدة لذلك بعد. كان دانتي من عثر عليها في تلك الليلة التي أصيبت فيها بالحمى، ولعله يستطيع القاء الضوء على الأحداث التي جرت يومها. فربما شاهد شيئاً ما يعلل التصرفات التي قامت بها على أثر تعرضها لهذيان الحمى، كطاولة مرمية على الأرض سببت لها تلك الرضوض، أو أغطية لفت نفسها بها، فخيل إليها أنها مقيدة!

عليها أن تعلم حقيقة ما حصل في تلك الليلة. لا شك لديها بأن هناك حلقة مفقودة، وهي تحاول عبثاً ملء الثغرات من خلال تلك الكوابيس المزعجة.

- دانتي!

ومدت يدها لتلامس كتفه، فانسلت عباءته الحريرية بين أصابعها. وإذ أجفل دانتي، سحبت يدها على عجل. كانت كل عضلة من عضلات جسمه المشدودة تعبر لها صراحة عن اشمئزازه من هذا الجو الأليف الذي فرض عليه

www.liilas.com/vb3

بالقوة.

- لا تفعلي ذلك!

زمت ميراندا شفتيها مصعوقة. لقد ولت أيام الحب والهيام إلى غير عودة، ولن يتشاطرا بعد اليوم الأشواق المحمومة، والسبب في ذلك، شخص منافق ملأ رأسه بالأكاذيب، فضلاً عن إصابتها بمرض غريب دفعها إلى التقلب محمومة على فراشها، مقرة بالتالي، حكم الإعدام على زواجها.

- تلك الليلة..

- لا أريد التحدث عن الموضوع.

لاحظت ميراندا أن قبضته كانت مضمومة بقوة!

- أريد أن أعرف ما حصل!

أجابها بفتور: «أسألي صديقك أو رواد الملهى الليلي الذي قصدتماه معاً».

- ليس لدي صديق!

واستقامت في مجلسها، ثم استدارت حول نفسها لتواجهه: «ولم أقصد أي ملهى ليلي. كنت مصابة بحمى منهكة فحسب!».

ردد كلماتها بصوت أبح: «حمى منهكة!».

تلاشت أمارات الغضب من عينيه لتشتعل فيهما نيران الشوق إليها..

كانا متقاربين جداً وخيل إليها أنه سيأخذها بين ذراعيه، لينسى في أحضانها الماضي كله!

أخفضت ميراندا رموشها تنتظر حصول المعجزة، وقالت: «ضمني بين ذراعيك!».

قالت ذلك بصوت هامس، وكأنها تعبر عن رجاء قلبها بصمت. لكنه سمعها وراح يتأفف بنفاد صبر، ففتحت عينيها مصعوقة وقد خاب أملها.

نهض دانتي عن السرير وشد عباءته ليغطي صدره. فيما حركات جسده كلها تؤكد فتور مشاعره نحوها.

عضت ميراندا على شفتها وهي تراه يهم بالانصراف. كيف تراها تتحمل ذلك؟

قال لها بنبرة جافة: «لا يمكننا أن نزج أنفسنا في مواقف مماثلة! شعرت بالأسف نحوك، حين وجدتك خائفة ومنزعجة. لكنني لا أستطيع التخفيف عنك إلا ضمن حدود معينة».

والتقت نظراتهما، فاستطرد دانتي قائلاً: «تعلمين جيداً إلى أين سيصل بنا الأمر إن ضممتك بين ذراعيّ. فلسنوات طويلة خلت، بُرمج جسدانا على القيام بذلك، لا تنسي أنني إنسان من لحم ودم، أنظر إليك وأنت تتقلبين على فراشك بثياب النوم.. فكيف لي أن أقاوم سحر الإغراء. لكن في اليوم التالي، سأحتقر نفسي وأصب جام غضبي عليك، وذلك سوف يؤثر على اتفاقنا ويجعله أكثر تعقيداً. وأظنك توافقينني الرأي في ما أقوله!».

يا لبرودة أعصابه! يتكلم وكأنه إنسان غريب تقابله للمرة الأولى.

أسرعت ميراندا تحصن دفاعاتها كي لا تتعرض للأذى ثانية، وأجابته بنبرة تمنت في سرها أن تنم عن رباطة جأش وهدوء: «يمكنك الجلوس على الكرسي المجاور لبعض الوقت».

- لا أظن ذلك!

رفع يده إلى شعره يعبث به وقد بدا سريع التأثر، وعيناه الداكنتان الواسعتان تلتمعان ببريق غريب. وعلى الرغم من محاولاتها اليائسة، لم تقوَ ميراندا على كبح توقها الشديد إليه. توق سبب لها العذاب. فدانتي يحتقرها ويرغب بها في آن معاً!

بدت الدلائل على ذلك واضحة، وأحست ميراندا بالاضطراب يطال كل عصب في جسمها. لكن ما السبيل للتخلص من هذه اللهفة غير المرغوب بها؟

وقبل أن تتمكن من ردع نفسها، وجدت نفسها تقول له بتهور: «دانتي.. أعرف أنك تكره فكرة ارتباطك بي، وكن على ثقة من أنني أبادلك الشعور عينه. أود أن أستعيد القدرة على السيطرة على ذاتي.. فلِمَ لا نرمي سلاحنا وننتهي من هذا الموضوع؟ فنحن زوجان مهما حصل».

- محال!

www.liilas.com/vb3

- حسبتك على استعداد للتخفيف عني، وضمي بين ذراعيك إلى أن أغفو!

سألها بتحدٍ: «وبعد ذلك؟».

فاجأتها نظراته الثاقبة، فاخفضت عينيها من شدة ارتباكها. لِمَ يأبى قلبها وجسدها الاقتناع بأنه لم يكنّ لها يوماً مشاعر الحب؟

وعلى الرغم من ذلك، ما زالت تحبه. فحبه المعشش في جسدها وروحها، يجعلها ضعيفة الإرادة أمام شوقها إليه!

رفعت عينيها نحوه، تتأمل تجهم وجهه البائس. فتشجعت ميراندا وأسرعت تفضي بكل ما يدور في ذهنها: «قلت لي إن شعلة هذه الأحاسيس لن تنطفىء بسهولة، وأظنك محقاً في ذلك! لكن ما الذي ستفعله إن تكرر هذا الموقف؟».

اشتعلت نيران الغضب في عينيه وزم شفتيه قائلاً: «إن الموقف دقيق للغاية، لكنني واثق من أن الأمور ستكون أفضل في الصباح. إنك امرأة قوية يا ميراندا، وستعتادين على الحياة بهذه الطريقة».

سألته بحزن: «ماذا عنك؟».

ستتسلل يوماً ما مشاعر الحب إلى قلبه... أحست ميراندا بتقلص في معدتها. لعله لم يصادف امرأة أحلامه بعد، لكنه سيفعل يوماً ما ويتزوج بها لتدفىء سريره، وترعى ابنه. لكنها تفضل الموت قبل أن يأتي ذلك اليوم.

- يمكنني أن أضحي بنفسي في سبيل سعادة كارلو.

وبدت عيناه أشبه بحصى سوداء باردة وهو يتابع كلامه: «وحدها راح تحتل الأولوية في حياتي. علينا أن ننجح في مهمتنا يا ميراندا... لا يمكننا أ نخذله».

أدركت ميراندا في تلك اللحظة أنها لن تألو جهداً لتثبت براءتها. فلعله يقع عندئذٍ في حبها، كما يحصل في العديد من الزيجات المدمّرة!

إنه الأمل الوحيد المتبقي لديها إن قدّر لها أن تعيش بقية عمرها إلى جانب الشخصين الوحيدين المتربعين على عرش قلبها.

- أقسم لك بأنني سأبذل وسعي لننجح في مسعانا!

- أرجو ذلك!

ألقى دانتي نظرة أخيرة عليها، ثم استدار على عقبيه وتوجه نحو غرفة الجلوس، فأطفأ النور وتركها غارقة في الظلمة، تصغي إلى صرير الباب، وطقطقة المفتاح في القفل! اندست ميراندا تحت أغطية السرير وقلبها يتخبط بين ضلوعها.

دانتي مخطىء في ظنه، لن تتحسن الأمور في الصباح.. صرّت ميراندا على أسنانها عازمة على ألا تدع المصاعب تتغلب عليها. ففي الصباح، ستجد سبيلاً لاستعادة هدوءها لتواجه حياتها الجديدة بشجاعة!

مرت عليها في حياتها أوقات عصيبة جداً وتمكنت من تخطي العوائق كلها، مؤكدة لنفسها أن لا شيء مستحيل أبداً.. ويوماً ما ستنعم برضى دانتي عليها، وربما بحبه أيضاً. لكن عليها أولاً أن تبدو فاتنة في نظره وخفيفة الظل، وهذا يتطلب منها بعض التغيير في شخصيتها.

جافاها النوم، وراحت تتقلب على فراشها من دون جدوى. فنهضت من سريرها وتوجهت نحو النافذة العريضة، ففتحتها وأبعدت الستائر عنها.

غمرتها، في الحال، موجة من الارتياح، وهي تتأمل الأنوار المتلألئة في القرية التي كانت أشعتها الذهبية المنعكسة في مياه البحيرة، تتراقص لماعة. استعادت ضربات قلبها انتظامها. نعم.. عليها أن تتحلى بالشجاعة والصبر لتنجح في مهمتها، وتثبت للجميع أنها امرأة ذات خلق رفيع، تقدس الحياة العائلية.

لمحت في تلك اللحظة، طيف دانتي على الشرفة. كان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً ملائماً، وفي جيبه جهاز انذار خاص بالأطفال!

تراجعت ميراندا قليلاً إلى الوراء كي لا يراها، إلا أنه لم يلتفت مطلقاً نحو المنزل، بل وقف يتأمل المنظر الممتد تحت ناظريه، فيما أخذ توتر كتفيه يزول شيئاً فشيئاً، فأخفض رأسه قليلاً وراح يذرع المكان جيئة وذهاباً.

علت وجهها أمارات العطف وهي جاثية تراقبه من النافذة.. ولم تكد

www.liilas.com/vb3

تمضي دقائق قليلة حتى عادت إلى فراشها، وقد خالجها إحساس بالارتياح بعد أن رأت اضطرابه الشديد.

تمنت أن يزول سوء التفاهم بينهما، في أقرب وقت ممكن، كي تثبت له أنها فوق مستوى الشبهات!

وحتى ذلك الوقت، يبقى كارلو مصدر فرحها الوحيد، يقوي عزيمتها ويدفعها إلى النضال حتى النهاية.. افتر ثغرها عن ابتسامة ملؤها الحنان، وتغلغلت تحت الأغطية تلتمس الدفء.

غداً تلتقي به ويجتمع شمل العائلة من جديد.. عائلة تستحق منها عناء التضحية بكل ما لديها لتبقى متماسكة.

٧ - السعادة الضائعة!

يا له من صباح بهي! علا في أعماق ميراندا رنين منبه داخلي أيقظها من سباتها، فأسرعت تستحم وتلبس ثيابها قبل أن يستيقظ كارلو.. أرادت أن تكون جاهزة لرؤيته.

غمرها إحساس إيجابي بالإثارة والنشاط في هذا اليوم الرائع، فارتدت البذلة النسائية عينها التي كانت ترتديها البارحة، وهي تضع في ذهنها الخطط لنقل ملابسها وأمتعتها من لندن.

وضعت القليل من الزينة على وجهها، وعقصت شعرها، كالعادة، على شكل كعكة، تاركة أطرافه مسبلة. ثم جلست لأكثر من نصف ساعة تنقر بأصابعها على طاولة الزينة أو تصلح بين الفينة والأخرى تبرجها..

وفجأة، سمعت المفتاح يدور في قفل الباب الذي يصل بين الغرفتين، فقفزت من مكانها وقلبها يخفق بسرعة. سوّت تنورتها بعصبية، وتوجهت بخطى مرتجفة نحو الباب وفتحته.

لم تجد في الغرفة إلا دانتي. بدا أنيقاً جداً في قميصه القشدية الرياضية، وبنطلون الجينز العسلي اللون، اللذين فصّلا حتماً خصيصاً له.

رماها بنظرة عجلى، وزمّ شفتيه لدى رؤيته وجهها الشاحب الذي ينبض بالفرح، ثم استدار قائلاً: «كارلو.. وصلت المفاجأة!».

سمعت ميراندا طقطقة، كأن فرشاة أسنان رميت في الحوض. فحبست أنفاسها وهي تكاد لا تصدق أن ابنها على بعد خطوات منها.. وإذا به يظهر أمامها نحيلاً أشعث الشعر، وعلى وجهه الصغير الفاتن علامات الذهول.

- أمي.. أمي..

www.liilas.com/vb3

أطلق صرخة مدوية وانفجر ضاحكاً من فرحه، ثم هرع نحوها عاري القدمين، فاتحاً يديه مرحباً بها.

- حبيبي!

اجتاحتها موجة من العواطف الجياشة، فحملته بين ذراعيها وعانقته دس كارلو ذراعيه الممتلئتين الدافئتين حول عنقها، وراح يشدها إليه بقوة حتى كادت تختنق.

همست برقة وهي تقبل خده الناعم: «حبيبي!».

- ساعديه على ارتداء ملابسه، وسيقودك بعدها إلى غرفة الطعام لتناول طعام الفطور سوياً.

التفتت ميرندا نحو دانتي فرأته يغادر الغرفة متجهم الوجه، متعثر الخطوات من شدة الغضب. لكن السعادة التي غمرتها في تلك اللحظة جعلتها لا تأبه لأمره اطلاقاً. قلما يهمهما انزعاجه من تعلق كارلو الشديد بها.. لقد عاد ابنها إلى أحضانها واستعادت حياتها رونقها.

- لِمَ تبكين يا أمي؟

ابتسمت له ابتسامة تشع فرحاً وقد أغشت الدموع عينيها، فأجابته برقة: «لست أبكي بل أضحك! في بعض الأحيان، تترقرق الدموع من عينيك حين تضحك.. ما رأيك الآن لو أساعدك على ارتداء ملابسك؟ أرني أين تضع أغراضك!».

انزلق كارلو من بين ذراعيها وأسرع يحضر حذاءه وجواربه. وفكرت ميرندا أنها لن تتوانى عن المجازفة بكل ما لديها لتثبت نفسها كوالدة كارلو وزوجة دانتي!

أخذت نفساً عميقاً، فجلّ ما تتمناه هو أن تكسب حبهما، ولن تقنع بأقل من ذلك! وسمعت صوتاً واهناً في أعماقها يسألها: «وما السبيل إلى ذلك؟» إلا أنها تجاهلته، فهي عاجزة الآن عن إيجاد رد ملائم!

- يبدو سعيداً جداً!

هزت ميراندا رأسها، تؤيد كلام دانتي، وعيناها تلاحقان صغيرها وهو

يدخل إلى الحضانة.

التفت كارلو نحوهما ملوحاً لهما بيده، وحقيبته تتأرجح على ظهره. بادلاه التلويح، وعلى ثغريهما ابتسامة رضى، وهما يشاهدان شعاع الفرح الذي انبعث من وجهه قبل أن يمسك بذراع صديق له ويهرع إلى داخل الحضانة.

في بادىء الأمر، انزعجت ميراندا من إصرار دانتي على احترام روتين حياة كارلو، فقد أملت أن تمضي النهار كله برفقة ابنها. توقعت أن يرفض كارلو الابتعاد عنها، حين طلب منه دانتي أن يجلب حقيبة ظهره ليصطحبه إلى الحضانة. إلا أن البهجة أضاءت وجه الصغير، وأسرع يحضر حقيبته من دون تذمر، فأحست بقلبها يتفتت من خيبة الأمل. إلا أنها عادت وحمدت الله في سرها، لأن حياته استمرت بشكل طبيعي.

- خيل إليّ أنه قد يرفض الذهاب هذا الصباح!

قال لها دانتي ذلك بنبرة حالمة، وكأنه قرأ أفكارها وأسرع يعبر عنها صراحة.

- بدا لي قلقاً بعض الشيء من طريقة تمسكه بي هذا الصباح.

- أجل.

ازدادت نبرة صوته كآبة: «كنت أخشى من أن يتعرض لاضطراب نفسي!».

- لهذا السبب تحدثت أمامه عن الأمتعة التي سأطلب إرسالها من لندن، وأظن أن دعوتك لنا لتناول الشاي والحلوى في ماغيور، بعد مغادرته الحضانة، أراحت باله!

- أخشى أنها رشوة صريحة!

وارتسمت على ثغره ابتسامة واهية.

- لا يهم.. فالمراض العضال يقتضي علاجات بائسة.

وضحكت ضحكة خافتة ثم تابعت تقول: «المهم هو أنه اقتنع تمام الاقتناع بأنني عدت لأبقى».

نظر دانتي إليها بعينين مستغرقتين في التأمل: «وهل ستبقين فعلاً؟».

www.liilas.com/vb3

التقت نظراتها بنظراته الحذرة، وتساءلت بصمت إن كان يعي ما شعرت به حين اتخذت قرارها بالبقاء. .

ليته يدرك كم مرة انقبض قلبها انقباضاً أليماً ولذيذاً في آن معاً!

- لن أرحل أبداً!

فضحت نبرة صوتها الهادئة افتتانها الشديد به، فاشاح بنظره بعيداً وقد علا التوتر وجهه، ثم قال لها بنبرة غريبة: «قيل لي إن كارلو يتمتع بشعبية واسعة بين رفاقه».

وظهرت عليه علامات الافتخار بابنه الذي يحبه حباً جماً قبل أن يتابع قائلاً: «لعل بشاشة وجهه هي السبب. يبدو أنه يحب الأولاد الآخرين ويشعر بالارتياح معهم!».

أجابته بنبرة مشوبة بالعاطفة: «إنه صبي لطيف وصريح ولا يعرف التحفظ».

أجابها دانتي مدمدماً: «على خلاف والدته».

اضطربت ميراندا وأسرعت تسأله في محاولة منها لتغيير الموضوع: «ألا يواجه مشكلة في تعلم اللغة؟».

- يتعلم الأولاد أموراً كثيرة من بعضهم البعض.

ردت ميراندا عليه برقة: «يسرني أن أراه مستقر الحال. . . سينعم بحياة هانئة في هذا المكان!».

ومضت عيناها فرحاً، وقد سرّها أن ترى كارلو سعيداً. لكن ما سبب التوتر البادي على وجه دانتي؟

تملكتها رغبة جامحة بالامساك بيده وشد نفسها إليها، لكنها لم تعتد على القيام بذلك أبداً. لعل المشكلة الأساسية تكمن هنا. . . ألم يصفها دانتي بملكة جليد ذا قلب متحجر؟

قال لها صراحة إن الغموض الذي يلف شخصيتها لا يزول إلا أثناء لحظاتهما الحميمة معاً. ولطالما تساءل ما إذا كانت مشاعرها مجرد تعبير عن رغبات جسدية!

لم يستطع دانتي أن يفهمها. ومع أن تحفظها ترك أثراً كبيراً فيه حين عملت لديه كسكرتيرة، إلا أنه لم يتوقع أن تبقى على تحفظها هذا بعد الزواج. لكن ميراندا تعلمت منذ زمن بعيد، أن تخفي مشاعرها، إذ لم تجد سبيلاً أفضل للتغلب على جرحها الأليم يوم اختفى والدها من حياتها وهي لا تزال في الحادية عشرة من عمرها. ولعل أكثر ما زاد الطين بلة هو إلقاء والدتها اللوم عليها، لأن الأولاد يعيقون حركة الأم ويمنعونها من اللحاق بزوجها حيثما ذهب.

ولم تكد تمضي أيام قليلة على اختفاء والدها حتى بلغ استياؤها ذروته، وقد عهدت والدتها إليها مسؤولية رعاية أختها الصغرى، لتتمكن هي من الاستمتاع بحياتها على هواها.

كم حفلة دعيت إليها ولم تحضرها. . . وكم شاباً تودّد إليها فصدته. . .

كانت تشعر بالأسى وهي ترى والدتها تخرج كل ليلة، وتتركها وحيدة في المنزل مع ليزي. ليزي الإبنة المفضلة عند أمها، والتي أغدقت عليها بحب حرمت ميراندا منه، ولم تضنَّ عليها بشيء أبداً. لكن ميرندا قررت أنها لن تعيش حياتها كلها تشفق على نفسها وقلبها مليء بمشاعر الحقد على أمها وأختها؟. . . عليها أن تقوي عزيمتها ولا تفضي بمكنونات قلبها لأحد كي لا تظهر في صورة الضحية. تعلمت ميراندا، مذاك الحين، أن تحافظ على رباطة جأشها، وتصون لسانها، بغض النظر عن المشاعر المتأججة في أعماقها.

لكن لِمَ لا تطلق العنان لمشاعرها، لمرة واحدة في حياتها، وتتصرف على سجيتها؟ ففي أعماقها تكمن امرأة عفوية، حنونة، تتمنى أن تزيل عن كاهلها غبار عاداتها القديمة، وتظهر للعالم كله حقيقة المشاعر المختلجة في داخلها!

رفعت عينيها نحو دانتي تتأمله بصمت. وقبل أن تتمكن من ردع نفسها دست ذراعها تحت ذراعه، وأنفاسها عالقة في حلقها، تنتظر بقلق أن يصدها. إلا أنه ابتسم لها ابتسامة مقتضبة ورفع حاجبيه مستغرباً.

قالت له والبهجة تضيء وجهها: «أريد أن أشكرك».

سألها ساخراً: «لماذا يا ترى؟ ألأنني أمنت لك حياة مترفة؟».

أخذت نفساً عميقاً، عازمة على ألا تظهر له اضطرابها، وقالت: «بل لأنك عاملت ليزي بكرم بالغ. تحدثت معها هذا الصباح، وأخبرتني بحماسة شديدة أنك أقرضتها سيارتك وسائقك لوكاس لتتسوق في ميلانو على حسابك!».

وتراقص المكر في عينيها، فتابعت: «إنها فكرة ذكية جداً.. بهذه الطريقة لن تستاء لأنك حجزت لها تذكرة سفر على الرحلة المتوجهة ليلاً إلى لندن، مع أنها اعربت عن رغبتها بقضاء اسبوع برفقتنا!».

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقد لانت نظراته فبدت عيناه أشبه بالشوكولا الذائبة.

- قال لي كارلو إنه سيرسم اليوم صورة لك.

- حقاً!

هتفت ميراندا مسرورة: «سأنتظر عودته بفارغ الصبر لأرى الصورة!».

حدق بها مذهولاً وقال: «هل أنت جادة في كلامك؟».

- طبعاً!

نظرت إليه بعينين ملؤهما الحب: «استعمل عينيك يا دانتي، وثق بحدسك. أيعقل أن يتعلق كارلو بي إلى هذا الحد، إن كنت لا أبادله الحب، ولا أكترث لكل شاردة وواردة تتعلق به؟ لا أستطيع أن أصف لك مدى فرحتي لأنني سأحظى برسم منه!».

استرخت قسمات وجهه ما شجعها على المضي في كلامها: «لكن أرجو أن أتمكن من تحديد ما رسمه!».

رماها دانتي بابتسامة رقيقة وعلق قائلاً: «بعد أن جلب رسمته الأولى ظننت أنها تفاحة، وتبين لي لاحقاً أنه قطار، لذا أصبحت أتوخى الحذر في التعليق على رسوماته!».

كان ابنهما صلة الوصل الأساسية بينهما، والوحيد الذي يستطيع أن يجمع شملهما ثانية.

شعرت ميراندا أن دانتي بدأ يعي أهمية الدور الذي لعبته لينعم كارلو بالسعادة.. والأهم من ذلك كله هو أنه شهد بنفسه حبها العميق لابنها، ولعله يعيد النظر قريباً في الشائعات التي سمعها عنها. أخذت نفساً عميقاً.. لا شك أن زواجها يستحق الإنقاذ، وعليها أن تناضل من أجله بكل ما أوتيت من قوة. تفكيرها هذا رفع من معنوياتها فراحت تنظر من حولها بقلب مفعم بالثقة. لاحظت أنهما لم يسلكا طريق العودة إلى القصر. فعندما رافقا كارلو صباحاً إلى الحضانة، تسلقوا درجاً شاهقاً مرصوفاً بالحصى ليبلغوا قمة الهضبة... وها هما الآن يهبطان درجاً مماثلاً تحيط المتاجر الصغيرة به على الجانبين. سألته ضاحكة: «أشعر بالفضول يتآكلني... هل تقودني في جولة سياحية غامضة صامتة؟».

بدا دانتي مرتبكاً، وقال: «آسف، كنت مستغرقاً في التفكير.. خطر لي أنك قد ترغبين بشراء بعض الملابس في انتظار وصول أمتعتك من لندن، ورأيت أن استغل هذه المناسبة لأصطحبك في جولة في بلدة بيلاغيو».

- هذا لطف منك!

هتفت ميراندا تعبر عن امتنانها العميق له، وأكملت: «كنت أتساءل كيف يسعني الحفاظ على هذه الملابس مرتبة نظيفة قبل أن يطردونني من إيطاليا بتهمة التشرد؟».

كان دانتي يلقي التحية على المارة، وهو يضمها إليه بقوة. غير أن تصرفه هذا لم يزرع البهجة في قلبها، بل أطلق ناقوس الخطر في ذهنها. إذ لم يغب عنها أن تودده إليها يشكل جزءاً من إصراره على المحافظة على المظاهر أمام الناس.

- تحتاجين إلى ملابس عملية، وثياب سباحة، ورداء للسهرة. وأظن أن هذا هو المكان المناسب لشراء ما يلزمك.

لم يلاحظ الأسى الذي استولى عليها، ودخل بها إلى متجر أنيق، ثم ارتمى على كرسي بذراعين، تاركاً للبائعة الجميلة الشابة مهمة الاعتناء بها.

انهمكت ميراندا بانتقاء الملابس، من دون أن تبدو عليها الحماسة،

www.liilas.com/vb3

وانتقلت بعدها إلى قياس أثواب السباحة.

سمعته من داخل حجرة تغيير الملابس يطلق ضحكة رنانة. ضحكة لم تسمعها منذ زمن طويل، ورأته من ثقب الستارة يتبادل الأحاديث مع البائعة الجميلة التي مالت نحوه تقدم له فنجان كابوتشينو.

تأججت مشاعر الغيرة في أحشائها فاختارت ما رغبت بشرائه على عجل وسارعت للخروج من ذلك المتجر.

رافقته ميراندا عبر الشوارع الضيقة العتيقة والفوضى تعم أفكارها. راح دانتي يشرح لها باسهاب عن تاريخ البلدة ومعالمها السياحية وهو يميل نحوها كأنه يتودد إليها إلى أن ضاقت ذرعاً به.

قالت له متزعجة من برودة أعصابه: «حسناً هذا يكفي!».

- ماذا؟

- يمكنني أن أطلع على الدليل السياحي لاحقاً.

أجابها بحدة: «أتينا إلى هنا ليرانا الناس سوياً ويتحدثوا عن علاقتنا الطيبة، ولا شك أننا سنثير فضولهم إن جبنا الطرقات معاً والصمت ثالثنا!».

علقت بنبرة هادئة: «يمكننا أن نتحدث في شؤوننا الخاصة!».

- حسناً، سأخصص لك نفقة شهرية، تنفقينها حسبما يحلو لك!

وانحنى نحوها يهمس في أذنها: «سيارات، مجوهرات، فساتين، ملابس داخلية مثيرة..».

أحست بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري، وأخذت الدماء تجري حارة في عروقها، وإذا به يهتف قائلاً: «فيليب.. ماريا!».

وهرع يرحب بالمرأة ذات الشعر الداكن، ويعانق رفيقها بمحبة، قائلاً: «اسمحا لي أن أقدم لكما زوجتي ميراندا. عزيزتي، أقدم لك صديقيّ ماريا وفيليب اللذين اعتنيا بقصر عمي أثناء غيابه!».

أرغمت ميراندا نفسها على رسم ابتسامة على ثغرها والألم يعتصر قلبها. لا شك أن دانتي شاهدهما مقبلين من بعيد، فمال نحوها يهمس كلاماً مثيراً في

أذنها، لتبدو على وجهها أمارات اللهفة. ولم يخف عن صديقيه توهج خديها، والافتتان المتأجج في عينيها وهي ترفع رأسها نحو دانتي بشوق محموم.

كم هي غبية!

كبتت خيبة أملها وابتسمت لهما ابتسامة مجاملة قائلة: «كيف حالكما؟».

- بخير، كونتيسة.

وانحنى فيليب أمامها يقبل يدها، وعيناه تتلألأن فرحاً، فأعجبت ميراندا بتصرفاته اللبقة، وارتأت أن ترميه بابتسامة نابعة من القلب. أما ماريا فرحبت بها بحرارة وقبلتها مرات عدة، ثم قالت لها: «إنك أكثر جمالاً مما وصفك دانتي. لا عجب أنه ذاق الأمرين في غيابك.. والحق يقال أنه تحول إلى شخص مختلف منذ أن علم بشفائك وعودتك إلى ديارك!».

- أحقاً؟

توقف قلبها عن الخفقان لبرهة من الزمن، قبل أن يبدأ بالتخبط عشوائياً بين ضلوعها! كم تمنت لو أن كلامهما صحيح!

- عندما التقينا به للمرة الأولى شعرنا بأنه نكد الطبع!

قال فيليب ذلك وعلى ثغره ابتسامة عريضة، ثم تابع قائلاً: «ولكن حين علم بعودتك، اشرقت الدنيا في عينيه وراح يغني في الحديقة!».

علق دانتي مازحاً: «لا تفشيا أسراري كلها أمامها!».

أثار حديث الزوجين ارتباك ميراندا. ما سرّ هذا التغيير اللافت في مزاجه؟ أهو إحساسه بالارتياح لأن عودتها ستضع حداً لعذاب كارلو فحسب؟ أم تراها تحاول أن تخدع نفسها؟

وبعد تبادل القبلات السريعة، مضى الزوجان في سبيلهما. فسألته فجأة: «هل غنيت حقاً؟».

هز كتفيه بلا مبالاة: «لعلني فعلت ذلك.. تتردد في رأسي دوماً لازمة اغنية، غالباً ما أنشدها حين أجد نفسي لوحدي».

- لم تكن لوحدك، كان فيليب موجوداً وسمعك تغني!

- عليك أن تعلمي أن الإيطالي يميل بطبعه إلى المبالغة، وأراد فيليب

مجاملتك فأسمعك كلاماً تتمنين سماعه!

- هل تحذو حذوه يا دانتي؟ هذا ما كنت تفعله طوال سنوات زواجنا.

- كلا. فبعد أن أمضيت سنوات طويلة في لندن، نسيت فن الإسراف في المجاملة.. ولم أعد أتفوه إلا بما أعنيه ولكن من دون فظاظة كالإنكليز.

فكرت ميراندا قليلاً في الموضوع ثم عادت تقول له: «بدا فيليب مقتنعاً بأنك لم تعرف طعم الفرح إلا بعد أن عرفت بأنني آتية إلى إيطاليا».

- أظنه تحدث مع والدتي مطولاً، ولم تغب عنه حماستها الشديدة حيال المشاعر القوية التي أكنها لك. فخطر له أن هذا هو السبب وراء إمارات السعادة البادية على وجهي، في حين أن كلينا يدرك أن الواقع مختلف تماماً..

- لا شك أن والدتك مقتنعة كل الاقتناع بحبك لي!

- ينظر البعض إلى الحياة من منظار وردي، فلا يرون إلا ما يريدون رؤيته، وفيليب وماريا ينتميان إلى هذه الفئة من الناس. لكنهما صديقان وفيان، أحسنا معاملتي منذ وصولي إلى هنا.

شعرت ميراندا بأنه يتوق إلى تغيير مجرى الكلام فقد تابع يقول: «إنهما يقطنان في الفيلا المجاورة للقصر.. ومن المؤكد أننا سنراهما غالباً، لأن ابنهما في مثل سن كارلو».

- لا بأس، فهما طيبان للغاية.

لم تحاول الالحاح عليه أكثر، لكن حدسها أكد لها أنه يخفي شيئاً عنها.. ربما مشاعره الحقيقية.

- إنني أتحرق شوقاً لمقابلتهما ثانية.. وأنا واثقة تمام الثقة من أن صداقتنا ستتوطد!

علا التوتر قسمات وجهه وقال: «يبدو أنك تأقلمت مع فكرة العيش هنا في المستقبل.. أرجو ألا تندمي».

- أبداً. طالما أنني سأبقى إلى جانب كارلو.

علق دانتي بنبرة ساخرة: «ستروق لك الحياة هنا!».

- قد تخالني متلهفة لألعب دور زوجة رجل ثري، وأتنقل برفقته من قصر

إلى آخر، لكن ذلك لن يكفيني.

نظر إليها باستغراب قائلاً: «لم أفهم!».

- تظنني تزوجتك من أجل مالك! لكن هل بالغت يوماً في انفاق المال؟ وهل بدت علي علامات الجشع؟

قطب جبينه وأقر بصحة كلامها قائلاً: «كلا!».

- هل كنت على علم بثرائك الفاحش يوم عملت عندك؟

- أظنك لاحظت أنني أعيش حياة مترفة!

- ولكن من دون الإسراف في التبذير. كنت معتاداً على التنقل في سيارات الأجرة، شأنك شأن معظم سكان لندن. ولم تختر الإقامة في شقة في حي راقٍ، على الرغم من أن منزلك فسيح وأثاثه حديث الطراز وباهظ الثمن، أما ملابسك...

وافتر ثغرها عن ابتسامة واهية: «إنك إيطالي الطباع، وهذا جزء من ثقافتك. لو كنت أبحث عن رجل ثري لاخترت غيدو».

عقدت حاجبيها وقد أحست بطعم كريه في حلقها.. إلا أنها تغاضت عنه وتابعت كلامها قائلة: «أذكر جيداً أنه كان ينفق المال يميناً وشمالاً، ويقود سيارة ماسيراتي، ويرتاد أرقى المطاعم، ويزين معصمه بالحلى. فلو كنت انتهازية لما تركته يفلت من يدي».

- لست أدري... كلامك أوقعني في حيرة.

- اسمع! منذ نعومة أظافري وأنا أحلم بأن أمضي حياتي إلى جانب شخص أحبه. أتصدق ذلك؟

رماها بنظرة حذرة وأجابها قائلاً: «أظنك تهتمين فعلاً لأمر كارلو!».

ظهرت على وجهها ابتسامة عريضة. صحيح أنها لم تكن تقصد ذلك، لكن كلامه مهد لها الطريق.

- وهل صدقت الآن أنني لم أحرمه من حبي؟

بدا عليه الانزعاج: «لعل مخبري ارتكب خطأً».

خلال الجولة التي قاما بها معاً تمكنت ميراندا من مراقبة الناس عن كثب.

www.liilas.com/vb3

فلفتت انتباهها إيماءات أيديهم كلما وقفوا يتبادلون الأحاديث المثيرة. وكل حوار دار بينهم كان ينتهي بالضحك والعناق.

أطلقت تنهيدة حنين، وهي تشاهد في كل زاوية من زوايا البلدة، عاشقين يتبادلان نظرات الحب، والرضا بادٍ على وجهيهما.

سألها دانتي بنبرة هادئة: «هل تحسدينهم على قدرتهم على التعبير عن مشاعرهم بحرية؟».

- أجل.

لا عجب أن يجدها دانتي باردة العواطف متحجرة القلب!

- وأنا أيضاً!

وجال بعينيه الحالمتين في أرجاء المكان، ثم عاد يقول: «أتعلمين شيئاً؟ كنت عازماً على الاستقرار في لندن بعد زواجنا، ولم أدرك كم اشتقت إلى إيطاليا إلا بعد عودتي للعيش هنا».

أصغت إلى كلامه من دون تعليق. لم يكن دانتي سعيداً في انكلترا، وكأنه يعيش في منفى، بعيداً عن وطنه الأم! وجدت ميراندا نفسها تقارن ضبابية لندن بالألوان النابضة بالحياة المحيطة بهما.

- فهمت الآن سبب إصرارك على تربية كارلو في هذا المكان. إنه المكان المثالي له.

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم أضافت بنبرة جدية: «إنك تحب منزلك وتعتبره ملاذك، وأريدك أن تعلم أنني أحببته أيضاً، ومن المؤكد أننا سنعيش فيه بسعادة!».

ظهرت أمارات الدهشة على وجهه وأجابها بنبرة ساخرة: «السعادة؟ غير ممكن!».

- انتظر لترى!

أخذ جسمها يرتجف وكأنها بلغت حافة هاوية مهلكة. ما السبيل لتجعله يصدق بأن زواجهما لن يبقى أسير المظاهر الكاذبة؟

ساد الصمت بينهما للحظات قليلة، ما لبث أن خرقه دانتي قائلاً:

«حصلت أشياء كثيرة تركت ندوباً قد لا تندمل أبداً، لكنني أتمنى من كل قلبي أن يسود الوئام بيننا. ويسرني أن تتوافق تطلعاتك مع خططي!».

أجابته بحماسة: «سأبذل ما في وسعي ليصدق الناس أن زواجنا ناجح، ولا تشوبه شائبة!».

دنت منه بخفة ومشت قربه وجسدها يلامس جسده، فأحست به يرتجف ارتجافاً دل على تجاوبه اللا ارادي مع لمساتها.

غمرتها موجة عاتية من السعادة. ومع أن المناظر الخاطفة للأنفاس بهرتها، وجمال بلدة بيلاغيو سحرها، وقربها من دانتي منحها سعادة لا توصف، لم يخف عنها التغيير الذي طرأ على جسده برمته. وعندما شرع يدلها على القرى الواقعة عند الطرف الآخر من البلدة، استعاد شيئاً من حيويته وحماسته.

فاستجابت لرغبة داخلية ملحة، ودست ذراعها حول خصره.. وإذا بعضلاته تتصلب مهددة بصدها. إلا أنها ما لبثت أن استرخت، ولف دانتي ذراعه حول خصرها وشدها إليه، فراح قلبها يغني ابتهاجاً!

أثناء مرورهما في الشوارع، لاحظت ميراندا أن الانظار مسلطة عليهما، والناس يرمونهما بابتسامات مشوبة بالاعجاب. أخذتها نشوة السعادة، فأصغت إليه بانتباه وهو يصف لها بحماسة الحدائق الغناء في الفيلات الفخمة المفتوحة أمام العامة.

- إنك تحب بيلاغيو من كل قلبك!

تنحنح دانتي وأجابها قائلاً: «أحب كل ما فيها... ثمة أشياء كثيرة لم تريها بعد. سنذهب بعد غد في رحلة داخل المنطقة».

توقفا قليلاً ليرتاحا من المشي، فلاحظا أن الأبصار مشغولة بشيء ما والشفاه تهمس همساً مفعماً بالإثارة! التفتت ميراندا إلى الوراء وقد شعرت بالفضول، وإذا بها تهتف برقة: «انظر يا دانتي! إنهما عروسان جديدان!».

بدت العروس يافعة جداً، ربما في مثل سنها يوم تزوجت دانتي.. وهي ترتدي ثوباً أبيض ناصعاً، وتزين شعرها الداكن بورود بيضاء صغيرة جعلتها

www.liilas.com/vb3

تبدو غضة العود. .

سألته بنبرة حالمة: «أليست فاتنة؟».

أجابها بصوت كئيب: «جميلة جداً!».

عقدت حاجبيها حائرة، وسألته: «أين الجميع؟ وصيفات العروس والضيوف. . لا أرى سوى العروسين والمصور».

- جرت العادة أن يلتقط المصور صوراً للعروسين في مواقع رومنسية!

راح دانتي وميراندا يتأملان العروسين اللذين اختار المصور لهما بقعة قرب سياج حجري، مطل على البحيرة والجبال المحيطة بها، وكل منهما مستغرق في أفكاره!

أمسك دانتي بيدها فأحست بغصة موجعة، وهي تتأمل العروسين الخاليين من الهموم. . فها هما على عتبة عالم جديد يخالانه مفروشاً بالأزهار. .

ترقرقت الدموع من عينيها وقد تراءت لها انقاض زواجها، فحاولت جاهدة كبتها كي لا يراها!

- تهانينا!

أسرع دانتي يلقي التحية عليهما، عند مرورهما أمامهما!

فابتسمت العروس ابتسامة رقيقة تحولت إلى ابتسامة ملؤها الود، عندما التقت عيناها بعيني ميراندا. وعندما تفوه عريسها بشيء بالإيطالية، شد دانتي قبضته على يدها.

- ما الذي قاله؟

لم يلتفت دانتي نحوها، وبقي يراقب العروسين اللذين كانا ينتقلان من بقعة إلى أخرى كطفلين يلهوان!

- رد التحية!

جاء جوابه مقتضباً، لكنه عاد يقول موضحاً: «وقال إنه يخالنا نتذكر حفل زفافنا».

- إنه محق!

تنهدت ميراندا وقد عادت بالذكرى إلى الحلم الوردي الذي عاشته طوال ذلك النهار، والحنان المشوب بالشغف الذي أغدق دانتي عليها به. كيف يسعها أن تنسى وجهه المشرق الذي كان يشع فرحاً؟

أيحتمل أن غيدو كان على خطأ؟ هل وقع دانتي في هواها يوم تزوجها؟ كانت ميراندا واثقة من حبه لها. ماذا لو كانت السعادة التي علت وجهه يومها تعود إلى الثروة الضخمة التي سيتركها له أماديو؟

- فلنتناول الغداء.

قال دانتي ذلك مدمدماً وقادها إلى طاولة تطل على البحيرة، وقد بدا لها مشغول البال. فهبت تقول له قبل أن تتمكن من ردع نفسها: «ليت المياه تعود إلى مجاريها بيننا!».

أجفل دانتي وكأنه أحسّ بالألم عينه الذي أضنى جسدها، وأجابها: «أظن أن أيام البراءة ولت إلى غير عودة!».

والتقط قائمة الطعام وأخفى وجهه خلفها. لكن كلماته لم تحبط عزيمتها واستطردت معرضة نفسها لمغبة التوبيخ العنيف: «ألا تفضل لو أن علاقتنا تعود إلى ما كانت عليه، فلا نضطر إلى التظاهر بالحب أمام الناس؟».

أخفض دانتي قائمة الطعام لتتمكن من رؤية عينيه الداكنتين الثاقبتين، وأجابها بصوت أجش: «أجل!».

وتوقف قليلاً عن الكلام قبل أن يتابع قائلاً: «لكن ذلك مستحيل في ظل الظروف الراهنة!».

- لا شيء مستحيل يا دانتي!

- عليك أن تعلمي أن الشرف مهم جداً بالنسبة إلى الرجل الإيطالي!

زم شفتيه وأخفض عينيه يتأمل غطاء الطاولة، مضيفاً بنبرة ملؤها الكآبة: «اعلمي أن أسوأ إهانة قد توجه إلى الرجل، هي حين ينعته أحدهم بالزوج المخدوع. . الزوج الذي خانته زوجته!»

ورفع عينيه السوداوين نحوها. . عينان فضحتا حقيقة المشاعر المتأججة في أعماقه.

www.liilas.com/vb3

كبحت ميراندا نفسها كي لا تسمح للدموع الحارة بأن تسيل غزيرة على خديها. . .

- لم أخنك. . لطالما كنت وفية لك!

وأخذت نفساً عميقاً، مصرة على انتهاز الفرصة المتاحة أمامها، وأضافت بصوت خافت: «لطالما أحببتك!».

وانتظرت رده وقلبها يتخبط بين ضلوعها. كل شيء يتوقف على رده... سعادتها وسعادة كارل. .

شكبت أصابعها تحت الطاولة تتضرع إلى الله بصمت ليجعله يصدق كلامها!

- يا لها من محاولة جديرة بالثناء!

وعلا التوتر قسمات وجهه، فيما راح يتصفح قائمة الطعام: «لكنني أعرف الحقيقة يا ميراندا، ولن أسامحك أبداً».

٨ - اريد حبك

أحست ميراندا بنفسها مسحوقة ومجروحة. وحده خوفها على كارلو منعها من العودة إلى القصر، والانطواء على نفسها في غرفتها، مطلقة العنان لدموعها، لتستقل في الصباح أول رحلة متوجهة إلى لندن. ويبدأ بعدها مشوار العذاب والوحدة. .

لكن كارلو يتوقع أن يمرا بعد ساعتين لجلبه من الحضانة والذهاب برفقته إلى ماغبوري. . ولن تدعه يراها مهزومة، وعيناها حمراوان من شدة البكاء! لذا لم يعد أمامها سوى أن تعض على جرحها، وترغم نفسها على الرد على ملاحظات دانتي السخيفة، أثناء تناولهما الطعام.

قالت له بتهذيب فائق: «نعم، شكراً. الطعام لذيذ!».

بدا الاهتمام واضحاً في نبرة صوته، وهو يقول: «هلاّ ابتسمت لي بين الحين والآخر؟».

أرادت أن تسأله «لماذا»، لكنها عدلت عن ذلك ورسمت على ثغرها ابتسامة متكلفة قائلة: «أرى أن كلام الناس يهمك كثيراً، أليس كذلك؟».

مال نحوها وكأنه يريد أن يسمعها كلاماً في الحب، وقال: «تعلمين جيداً أنني لا أريد إثارة شكوك كارلو حيال علاقتنا! ما يعني أنه علينا اقناع الجميع بأننا نعيش في وفاق تام!».

أطلقت ميراندا تنهيدة عميقة. هذا جل ما يأبه له! لكنها لن تمضي قدماً في هذه الخدعة، وعلى دانتي أن يقتنع ببراءتها. تمتمت قائلة: «علينا أن نتحدث معاً بعد أن يخلد كارلو إلى فراشه!».

- انظري إليّ!

www.liilas.com/vb3

رفعت عينيها عابسة الوجه: «حسناً... ها أنا أنظر إليك!».

مد دانتي يده عبر الطاولة وأمسك بيدها، فألهبت قبضته الدافئة مشاعرها، إلا أنها ضبطت نفسها كي لا تهب واقفة، وتفر بعيداً عن هذه التمثيلية السخيفة!

- أظننا اتفقنا على أن نتعاون سوياً للحفاظ على ماء الوجه!

قال لها ذلك بنبرة مشوبة بشيء من التهديد، مضيفاً: «ولم تمانعي أبداً. والحق يقال إنك أثبت تعاونك حق الاثبات هذا الصباح!».

وغدا صوته أبح وهو يتابع قائلاً: «عليك أن تنظري إليّ بحب، وكأنني الرجل الوحيد في دنياك!».

وغرز أصابعه في راحة يدها، فلم تعد تقوى على الاحتمال أكثر، فقالت: «أرجوك يا دانتي، أريد الانصراف!».

تردّد دانتي قليلاً، ثم قال لها: «حسناً.. ولم لا؟».

رمى بعض الأوراق النقدية على الطاولة، وساعدها على النهوض من مكانها. ثم أشار بيده للنادل الذي هرع ليرى ما الذي جرى.

شدها دانتي إليه بقوة وهما يغادران المطعم متوجهين نحو شارع ضيق، وإذا بالضجيج يتحول فجأة إلى همس يتناهى من بعيد إلى مسمعها، وهي غارقة في قنوطها، وقد تملكها إحساس بالوحدة لم تعرف له مثيلاً من قبل!

لم تتصور ميرندا أن التظاهر بالسعادة صعب إلى هذا الحد... عليها أن تتحمل ذلك أشهراً وسنوات طويلة.

صرت على أسنانها ودمدمت غاضبة: «أليس غريباً ألا ترفض طلبي؟».

تسارعت أنفاس دانتي: «من البديهي أن يخالنا الجميع مسرعين لقضاء الساعات المتبقية من النهار في السرير».

تسمرت ميراندا مكانها وهتفت مصعوقة: «ماذا؟ هل اخبرت النادل أننا...؟».

أجابها بنفاد صبر: «إطلاقاً! وهل تحسبينني أحمق إلى هذا الحد؟ لكنه يدرك أن زوبعة الشوق قد تهب في أي لحظة».

اتسعت عيناها ذهولاً، وقالت: «وهل يهمك حقاً ما يجول في ذهن النادل؟».

- أجل، لأنه سيذيع الخبر!

جاءت نبرته فظة خشنة وهو يضيف: «انتظر السكان مجيئي إلى البلدة بفضول بالغ، وبدوا متلهفين للتعرف عليك. ألم تلاحظي أن الجميع يحدق بك؟».

كانت ميراندا معتادة على ذلك. فكلما سارت برفقة دانتي، رأت الناس يحدقون بهما بفضول، مع أنه كان يؤكد لها دوماً أن الناس يحدقون بها وحدها. قالت له متذمرة وقد عجزت عن تمالك نفسها: «أرى أنك فخور بإنجازك الصباحي. سيتناقل سكان بيلاغيو أخبار حياتنا الزوجية السعيدة قريباً جداً. كم أكره هذه التمثيلية الخبيثة! أشعر وكأنني أخدع الجميع.. أمك، أصدقاؤك، الجميع!».

وضغطت على أسنانها كي لا يسمع شهيقها. ليت كارلو يعي ما عليها أن تتحمله لتبقى إلى جانبه!

التفت دانتي نحوها ليواجهها وعيناه تومضان بوميض مخيف، ثم قال: «ما الذي جعلك تتصورين أنك تحتكرين المشاعر كلها؟ لمَ تخالين نفسك الوحيدة التي تعيش في كابوس مزعج؟ من أوحى إليك أنني لستَ مشمئزاً من هذه الخدعة المقيتة؟ لم أتخيل نفسي أبداً في وضع مماثل.. لكن ما باليد حيلة، وعلي أن أتحلى بالصبر».

لم تتبس ميراندا ببنت شفة وقد أثر بؤسه فيها أشد تأثير. كم تتمنى أن تراه سعيداً مطمئن البال لكن ذلك أمسى مستحيلاً بعد أن علقا في شرك هذا الزواج السخيف!

- تباً! لم يكن ينقصني إلا هذا!

حدّق دانتي بانشداه في فيلا زينت من الخارج بشرائط زرقاء وبيضاء، وعلقت عليها ورود ملائمة، فعقدت ميراندا حاجبيها متسائلة: «ما هذا؟».

- إنه منزل العريس!

رفعت عينيها عابسة الوجه: «حسناً. . . ها أنا أنظر إليك!».

مد دانتي يده عبر الطاولة وأمسك بيدها، فألهبت قبضته الدافئة مشاعرها، إلا أنها ضبطت نفسها كي لا تهب واقفة، وتفر بعيداً عن هذه التمثيلية السخيفة!

- أظننا اتفقنا على أن نتعاون سوياً للحفاظ على ماء الوجه!

قال لها ذلك بنبرة مشوبة بشيء من التهديد، مضيفاً: «ولم تمانعي أبداً. والحق يقال إنك أثبت تعاونك حق الاثبات هذا الصباح!».

وغدا صوته أبح وهو يتابع قائلاً: «عليك أن تنظري إليّ بحب، وكأنني الرجل الوحيد في دنياك!».

وغرز أصابعه في راحة يدها، فلم تعد تقوى على الاحتمال أكثر، فقالت: «أرجوك يا دانتي، أريد الانصراف!».

تردّد دانتي قليلاً، ثم قال لها: «حسناً. . ولمَ لا؟».

رمى بعض الأوراق النقدية على الطاولة، وساعدها على النهوض من مكانها. ثم أشار بيده للنادل الذي هرع ليرى ما الذي جرى.

شدها دانتي إليه بقوة وهما يغادران المطعم متوجهين نحو شارع ضيق. وإذا بالضجيج يتحول فجأة إلى همس يتناهى من بعيد إلى مسمعها، وهي غارقة في قنوطها، وقد تملكها إحساس بالوحدة لم تعرف له مثيلاً من قبل!

لم تتصور ميرندا أن التظاهر بالسعادة صعب إلى هذا الحد. . . عليها أن تتحمل ذلك أشهراً وسنوات طويلة.

صرت على أسنانها ودمدمت غاضبة: «أليس غريباً ألا ترفض طلبي؟».

تسارعت أنفاس دانتي: «من البديهي أن يخالنا الجميع مسرعين لقضاء الساعات المتبقية من النهار في السرير».

تسمرت ميراندا مكانها وهتفت مصعوقة: «ماذا؟ هل اخبرت النادل أننا. . .».

أجابها بنفاد صبر: «إطلاقاً! وهل تحسبينني أحمق إلى هذا الحد؟ لكنه يدرك أن زوبعة الشوق قد تهب في أي لحظة».

اتسعت عيناها ذهولاً، وقالت: «وهل يهمك حقاً ما يجول في ذهن النادل؟».

- أجل، لأنه سيذيع الخبر!

جاءت نبرته فظة خشنة وهو يضيف: «انتظر السكان مجيئي إلى البلدة بفضول بالغ، وبدوا متلهفين للتعرف عليك. ألم تلاحظي أن الجميع يحدّق بك؟».

كانت ميراندا معتادة على ذلك. فكلما سارت برفقة دانتي، رأت الناس يحدقون بهما بفضول، مع أنه كان يؤكد لها دوماً أن الناس يحدقون بها وحدها. قالت له متذمرة وقد عجزت عن تمالك نفسها: «أرى أنك فخور بإنجازك الصباحي. سيتناقل سكان بيلاغيو أخبار حياتنا الزوجية السعيدة قريباً جداً. كم أكره هذه التمثيلية الخبيثة! أشعر وكأنني أخدع الجميع. . أمك، أصدقاؤك، الجميع!».

وصرّت على أسنانها كي لا يسمع شهيقها. ليت كارلو يعي ما عليها أن تتحمله لتبقى إلى جانبه!

التفت دانتي نحوها ليواجهها وعيناه تومضان بوميض مخيف، ثم قال: «ما الذي جعلك تتصورين أنك تحتكرين المشاعر كلها؟ لمَ تخالين نفسك الوحيدة التي تعيش في كابوس مزعج؟ من أوحى إليك أنني لستَ مشمئزاً من هذه الخدعة المقيتة؟ لم أتخيل نفسي أبداً في وضع مماثل. . لكن ما باليد حيلة، وعلي أن أتحلى بالصبر».

لم تنبس ميراندا ببنت شفة وقد أثر بؤسه فيها أشد تأثير. كم تتمنى أن تراه سعيداً مطمئن البال لكن ذلك أمسى مستحيلاً بعد أن علقا في شرك هذا الزواج السخيف!

- تباً! لم يكن ينقصني إلا هذا!

حدّق دانتي بانشداه في فيلا زينت من الخارج بشرائط زرقاء وبيضاء، وعلقت عليها ورود ملائمة، فعقدت ميراندا حاجبيها متسائلة: «ما هذا؟».

- إنه منزل العريس!

www.liilas.com/vb3
LIILAS.COM

واندفع إلى الأمام بغضب، ليجد نفسه أمام فيلا أخرى مزينة باللونين الزهري والأبيض. فوقف دانتي يحملق بمظاهر الزينة مدمدماً: «كنت أفضل ألا أصادف أفراحاً حيثما ذهبت!».

أجفلت ميراندا بدورها، وأحست بالحزن يستولي على قلبها.. شعر دانتي أنه أشبه بفأر عالق في المصيدة، فهو رجل ينبض بالحيوية، وعليه أن يمضي بقية أيام عمره إلى جانب زوجة لا يحبها! أتراهما ارتكبا خطأً فادحاً حين قررا الاستمرار في العيش معاً من أجل كارلو؟

من المؤكد أن الطلاق المتمدن، الذي يقضي بمنح الحضانة للوالدين معاً، هو الحل الأفضل بالنسبة لهما.

لكنها ستحتاج حتماً إلى ضمانات بشأن دورها المستقبلي، إذا وافقت على هذه الخطوة العملاقة، كما أن من الصعب عليها أن تتنبأ برد فعلها في حال زواجه ثانية.

مشت ميراندا إلى جانبه والبؤس بادٍ عليها، وهي تحاول عبثاً أن تسوي الفوضى العارمة التي عمت حياتهما. عليها أن تبيّض صفحتها أمامه حتى لا ينظر إليها بعد اليوم، نظرات تتهمها بأنها أم مهملة وزوجة خائنة. عليه أن يعي أنها لم تستخف يوماً بزواجهما، علّ ذلك يحثه على تغيير طريقة تعامله معها!

فتح دانتي بوابة الحديقة الصغيرة، وعطل جهاز الانذار، ثم قال لها بصوت أجش: «من الأفضل أن ننفصل عن بعضنا البعض لفترة ولو قصيرة. كان الوضع أصعب بكثير مما توقعت. أرجو أن تبذلي ما في وسعك لتتعاملي معي بمحبة أمام كارلو!».

وقبل أن يتسنى لها أن تطلب منه توضيحاً لكلامه المبهم، اختفى خلف أشجار الليمون!

أمضت ميراندا الوقت تذرع أرض الحديقة جيئة وذهاباً، وهي تحاول أن تحدد مشاعر دانتي حيالها. عليها أن تجد وسيلة لاقناعه بالكشف عن اسم الشخص الذي لفق تلك الأكاذيب عنها. وأقسمت في سرها بأن يواجهاه

معاً ويطالباه بدليل حسي!

إنها الطريقة الوحيدة لرفع النقاب عن حقيقة ما حصل تلك الليلة. لعل أحدهم جاء لزيارتها قبل إصابتها بالحمى، مع أنها لا تذكر أمراً كهذا البتة.

ضاقت عيناها وهي تتأمل مياه البحيرة الراكدة. ليتها تستطيع الاختباء وراء درع اللامبالاة، متظاهرة بأن لا شيء يؤثر فيها! لكن دانتي يخالها لم تحبه يوماً من شدة حرصها على إخفاء مشاعرها عنه!

لا بد من المجازفة بكل ما لديها، لتجعله يدرك عمق المشاعر التي تكنها له، حتى ولو عرضت نفسها لمغبة الصد والاحتقار!

صحيح أنها ذاقت الأمرين في صباها، لا سيما بعد وفاة والدها، وتوليها مسؤولية تربية أختها الصغرى، حين كانت تكبح توقها الشديد للهو والاستمتاع بحريتها، إلا أنها لم تذق يوماً طعم الأسى الذي تعاني منه اليوم. فهي تحب دانتي وكارلو بكل جوارحها.. ولن تتخلى عن حلمها بجمع شمل العائلة تحت سقف الحب الصادق.. حلم يستحق عناء المحاولة، وعناء المجازفة بالتعرض للأذى..

نظرت إلى ساعة يدها بعصبية، وتفاجأت لدى رؤيتها أن الوقت قد حان لجلب كارلو من الحضانة.

* * *

في بادىء الأمر، لم يحاول دانتي وميراندا إخفاء تكلفهما.. فاقتصرت أحاديثهما على تبادل العبارات المنمقة التافهة. غير أن حبها لطفلها، وفرحها الشديد برؤية العالم من خلال عينيه، ما لبثا أن تغلبا على المشاعر الأخرى المتضاربة في داخلها.

- هذه ماما!

قال لها كارلو ذلك باعتزاز كبير بالنفس وهو يقدم لها رسماً بدا عبارة عن ألوان متداخلة ببعضها البعض.

- ماما على الأرض!

- كم هو جميل!

www.liilas.com/vb3

هتفت ميراندا بحماسة وهي ترى لطخة زرقاء صغيرة وسط دوامات بنية اللون.

- ما الذي أفعله على الأرض؟

- تضحكين!

وقهقه بملء صوته فضمته إلى صدرها بحنان، فيما تابع يقول: «ماما تضحك كثيراً... ماما تحبني كثيراً.. أحب ماما!».

ولف ذراعيه حول عنقها ليكسر الجليد ويثبت لوالده مدى حبها له.

منذ تلك اللحظة، أخذ دانتي وميراندا يستعيدان عفويتهما في التصرف، فزال التوتر من الأجواء، واندمج الجميع في لعبة العائلة السعيدة، حتى اتقنوها!

ومع حلول المساء، باتت مشاعرها أشبه بكتلة من الخيوط المتشابكة. كم أحبت تلك اللحظات السعيدة التي قضتها برفقة دانتي وكارلو، وتمنت لو أنها تدوم إلى الأبد. ففي هذا العالم، المشبع بمشاعر الحب، لا تجد أثراً للكوابيس المزعجة والاتهامات الباطلة.. بل عواطف جياشة، وضحكات رنانة، والعاب مسلية..

غمرها إحساس بالارتياح وقد بدا لها أن عدائية دانتي أخذت تتلاشى، بعد تلك الأوقات المسلية التي أمضوها معاً! ألا يقال إن الطفل قادر على التسلل إلى أماكن لا يستطيع أحد سواه التسلل إليها؟

ابتسمت وهي تسمع دانتي يحضّ كارلو على السباق قائلاً: «سأسابقك إلى الطابق العلوي!».

فاندفع كارلو مسرعاً نحو الدرج، وعلى وجهه إمارات التصميم، وساقاه النحيلتان تتحركان برشاقة فوق الأرض الرخامية.

شعرت ميراندا، فجأة، كأن يداً حديدية قبضت على قلبها وراحت عيناها تتنقلان من كارلو إلى دانتي. إنهما دنياها كلها، وحبهما يملأ قلبها، وجلّ ما تتمناه هو أن يبادلاها هذا الحب فحسب، لذا عليها أن تبذل ما في وسعها لتتخلص من تحفظها وتفوز بقلب دانتي.

عضت على شفتها وأسرعت تلحق بهما.. أمامها حواجز كثيرة لتخطاها، وجبال عديدة لتتسلقها.

- لقد فزت، لقد فزت..

وعلت البهجة قسمات وجه كارلو وهو يهرع نحوها ليمسك بيدها، فأثنت ميراندا عليه بصوت مرتعش نابع من عمق أعماق قلبها قائلة: «كنت سريعاً جداً!».

- المراكب!

أعلن كارلو ذلك ببساطة، وهو يقودها إلى الحمام، حيث وقف دانتي يتحقق من حرارة المياه المتدفقة من الحنفية، وقد رفع كمي قميصه إلى الأعلى.

- حسناً، سنجلب المراكب في الحال!

وركعت على ركبتيها تساعد الطفل على خلع ملابسه، إلا أنه دفعها صارخاً: «سأفعل ذلك لوحدي.. سأفعل ذلك لوحدي».

تأملته ميراندا بعينين ملؤهما الحنان وهو يتصارع مع ملابسه. وإذ التفتت نحو دانتي، كاد قلبها يتوقف عن الخفقان، واغرورقت عيناها بالدموع. إنها المرة الأولى التي تراه فيها ينظر إلى كارلو بهذه الطريقة، كأنه مفتون به!

مررت أناملها على ذراعه تؤكد له أن لديها الشعور عينه، فأدار رأسه نحوها لتواجه نظراته المتقدة نظراتها.. نظرات هي خير دليل على رغبته الشديدة بنسيان الماضي والاستمتاع من جديد بدفء أحضانها!

خطر لها أن تشجعه فلفت ذراعيها حول خصره تجسّ حرارة المياه، وتأكد من مستواها في المغطس، وقالت: «أرى أن عمقها مناسب».

لم يبعد دانتي عينيه عنها، وراح يحملق بها كما اعتاد أن يفعل يوم كانا لا يزالان عاشقين.

- لا، بل أكثر عمقاً مما تخالين!

أصيبت ميراندا فجأة بالدوار.. أتراه يقصد..؟

- احملني.. احملني!

وأقحم كارلو جسده النحيل العاري بينهما متأففاً، فحمله دانتي ووضعه

www.liilas.com/vb3

في المغطس..

لم تكن ميراندا واثقة مما يحصل لهما، هي ودانتي، لكنها كانت واثقة تماماً من أن كارلو يلهو كثيراً، وهو يراهما يغمران مراكبه البلاستيكية بالصابون. التقت نظراتهما فتسارع نبضها بشكل جنوني وابتلع دانتي ريقه بصعوبة، وغرف القليل من رغوة الصابون بيده ونفخها على كارلو. ثم عليها..

شعرت ميرندا أن ذهنها في حالة من الفوضى العارمة، شأنه شأن دمائها التي أخذت تجري حارة في عروقها. وإذ لفتت يدي دانتي المرتعشين انتباهها، همست في أذنه بخبث: «أتذكر الأيام الخوالي؟».

عقد دانتي حاجبيه ورفع يده ليبعد خصلة من شعره تدلت على جبينه، تاركاً عليها طبقة رقيقة من الصابون. فمدت ميراندا يدها تمسح الصابون عنها بحنان، ووجهاهما يكادان يتلامسان.

حبست أنفاسها وقد خطر لها أنه سيعانقها، إلا أنه أخذ نفساً عميقاً وعاد يلهو مع كارلو بالصابون. كبحت ميراندا الرغبة الملحة التي اجتاحتها بلف ذراعيها حول عنقه والافصاح له عن حبها، والتقطت لوحاً من الصابون انقضت به على عنق كارلو وظهره. ومع كل حركة راحت تردد في سرّها بانفعال: «دانتي يحبني.. لا يحبني.. لا يحبني.. يحبني.. لا يحبني.. يحبني.. لا يحبني!».

- أنظري يا ماما!

- ها أنا أنظر يا حبيبي!

قالت له ذلك هامسة، فيما كان كارلو يغرق ذراع والده بالصابون.

احتج دانتي متأففاً: «إنني مبلل من أعلى رأسي إلى أخمص قدمي!».

أجابه الصبي ضاحكاً: «وأنا أيضاً!».

- أظن أن الوقت حان ليجفف كلانا نفسه. أريد أن أروي لك قصة جديدة هذا المساء!

اشاحت ميراندا بنظرها بعيداً وأسرعت تخرج كارلو من الحوض،

فساعدها دانتي على تجفيفه وعيونهما مسلطة على خصلات شعره المشبعة بالماء، وثرثرته التي لا تنتهي والتي تملأ المكان!

ضمته ميراندا إلى صدرها بدافع من غريزتها، وأغمضت عينيها تشكر الله بصمت لأنه أعاده إلى حضنها من جديد. كان الأمر يستحق عناء الجدالات الفنية والعدائية الجارحة. مهما كان شعور دانتي حيالها، ومهما خبأ القدر لهما من مفاجآت، عليها أن تتحلى بالصبر وتصمد من أجل هذه اللحظات التي لا تقدر بثمن!

رفعت عينيها اللتين غشيتهما الدموع لتقابل عيني دانتي الثاقبتين، فأحست بوهن في ساقيها.. ولم يخف هذا الأمر عليه، فأسرع يقول لكارلو: «دعني أساعدك على ارتداء ملابس النوم!».

كان التعب قد أخذ يشق طريقه إلى جسم كارلو الصغير، فتوقف عن الثرثرة ليغرق في صمت مطبق.

- انتهينا!

حمل دانتي الصبي بين ذراعيه وسار به إلى غرفة النوم، تاركاً ميراندا تلحق بهما، وهي تشعر وكأنها تعيش في حلم..

مدد دانتي الصبي على السرير الفسيح واستلقى إلى جانبه حاملاً كتاباً في يده.

- تعالي يا ماما!

رفع كارلو يده، وقد أثقل النعاس جفنيه، وأومأ لها لتدنو منه، وهو يفتح كفه ويضمه، كما اعتاد أن يفعل دوماً. ففي الماضي، كان الثلاثة يجتمعون في السرير كلما تواجد دانتي في المنزل!

اذعنت ميراندا لرغبة كارلو واستلقت قربه على الجانب الآخر من السرير.

همس كارلو في أذنها: «كم أنت جميلة يا ماما!».

غمرتها موجة من السعادة وهي تسمع تلك الكلمات تخرج من فمه، فطبعت قبلة على خده، وضمته إلى صدرها، فيما راح دانتي يقرأ قصة لهما.

www.liilas.com/vb3

فاحت من السرير رائحة قوية، عبقت في أنفها، وتسلل عطر جسده النابض رجولة إلى كل شبر من جسمها. كانت يده الملفوفة حول كارلو تلامس بشرتها، مشعلة حواسها، فرفعت رأسها قليلاً تنظر إليه بطرف عينيها.. وإذ به يتلعثم ويتحول صوته إلى غمغمة هامسة..

بعد أن استسلم كارلو للنوم، قالت له بصوت خافت: «من الغباء أن نضيع هذا كله من بين أيدينا».

وضع دانتي الكتاب جانباً وراح يتأمل كارلو بصمت. حبست ميراندا أنفاسها وقد أدركت أنه يفكر في كلامها. أليس صحيحاً أن لطفلهما الأولوية، وعليهما بذل ما في وسعهما لإسعاده؟

نهض دانتي من مكانه وقال لها هامساً من دون أن ينظر إليها: «آن الوقت لنتكلم!».

أومأت له برأسها، وتسللت من الفراش تلحق به إلى الباب.

ولم يكد يخطو خطوتين حتى التفت متمتماً: «نسيت المنبه!».

خطت ميرندا خطوة جانبية لتفسح له الطريق فاصطدمت به فجأة. أحست بالعالم يتوقف عن الدوران من حولها فلم تعد تعي ما يحصل. وجدت نفسها بين ذراعيه، وهما تشدانها بقوة إليه كأنهما تطالبانه بإطلاق الأهواء التي حبستها طويلاً! تأججت نيران الشوق في أحشائها وكأن أحدهم اشعل فتيلها.. ستكون الأمور على خير ما يرام! أقرت بذلك في سرها، فيما راحت يداه تشدانها إليه بقوة، وتشبعان توقها الشديد إلى دفء حضنه!

– ميراندا! ميراندا!

أحست كأنها تحلق في الفضاء الواسع فأمسكت برأسه بين يديها، تعبث بشعره الحريري، وتتنشق رائحة الفانيلا المنبعثة من جسمه.

أحست ميرندا بنيران الشوق تلتهمها، فأمسكت وجهه بين يديها وبادلته عناقه بشغف وحنان وقلبها يتخبط بين ضلوعها، فيما هتفت بلهفة: «أحبك! أحبك!».

أجفل دانتي على الفور، وتصلب جسمه، ثم ابتعد عنها وعلى وجهه

امارات الذهول!

يا لغبائها! لِمَ تفوهت بتلك الكلمة التي أثارت ذعره؟ اتسعت عيناها وهي تحلق به وفي عينيه نظرات مبهمة، تعذر عليها سبر أغوارها. من المؤكد أنه سيصدها وينعتها بالكاذبة، فهو لا يثق بها.

www.liilas.com

٩ - أين الحقيقة؟

- دانتي! دانتي!

رمشت ميراندا بعينيها وهي تسمع أحدهم يناديه من الأسفل!

- إنه غيدو!

صر دانتي على أسنانه وقد علت امارات الغضب وجهه. . غضب لم تفهم سببه. أتراه منزعجاً من نفسه لأنه لم يقوَ على مقاومة سحرها؟ أم تراه منزعجاً من غيدو لأنه اختار تلك اللحظة بالذات ليعود فيها إلى المنزل؟

- ما الذي. .؟

ابتلعت ميراندا ريقها لتتمكن من متابعة الكلام: «ما الذي يفعله هنا؟».

نفض دانتي قميصه على عجل وقد تحولت عيناه إلى حصن منيع من الصعب اختراقه، وقال: «أظنه جلب أمتعتك من لندن، من الأفضل أن تسوي هندامك!».

ورفع يده إلى رأسه يرتب شعره المبعثر، ثم فتح باباً يؤدي إلى الحمام وقال لها من دون أن يرمقها بنظرة واحدة: «من المؤكد أن الشكوك ستساوره إن لم تنزلي لتشكريه بنفسك!».

عضت على شفتها، وراحت تراقبه من خلال الباب المفتوح، فإذا به يقف أمام المرآة ليتأمل صورته المنعكسة فيها. بدت عيناه داكنتين مائعتين، وشفتاه منفرجتين. .

- دانتي؟

دمدم دانتي مغمض العينين: «أرجوك! أريد العودة إلى أرض الواقع!».

أحيت كلماته الأمل في قلبها. . . لا شك أن صوت غيدو الذي تعالى

منادياً من الأسفل هو الذي حثه على الابتعاد عنها.

- إنني زوجتك. .

أجابها برقة متفادياً النظر إليها: «هذا صحيح، ولكن جاءنا زائر».

علقت بمرح: «خداك متوهجان».

- كنا نلعب مع كارلو، واللعب يجعل الخدين يتوهجان!

وابتسم لها ابتسامة مقتضبة مضيفاً: «الحقي بي حالما تنتهين».

- من الأفضل أن تمسح أولاً أحمر الشفاه عن عنقك!

هتف قائلاً: «غيدو. . . إنني آتٍ».

وخرج من الغرفة مسرعاً. دخلت ميراندا إلى غرفتها وهي تدندن لحناً سعيداً، فوضعت القليل من أحمر الشفاه، وسرحت شعرها ثم ابتسمت لصورتها المنعكسة في المرآة وقد بدت مختلفة بعينيها المتلألئتين وبشرتها المشرقة!

نزلت السلم من دون أن تتوقف عن الدندنة، ودخلت الغرفة التي تعالت فيها الأصوات.

هتفت ميراندا مبتسمة لشقيق دانتي الأصغر منه سناً: «غيدو».

هرع هذا الأخير نحوها فاتحاً ذراعيه يرحب بها: «ميراندا! كم تبدين جميلة!».

ولم تكد عيونهما تلتقي حتى دب الخوف في قلبها، فتمالكت نفسها كي لا تتراجع إلى الوراء.

- شكراً لك!

أجابته لاهثة وقد وجدت نفسها أسيرة عناقه القوي. . فتملكها الذعر وتسارعت أنفاسها. صرخت ميراندا متظاهرة بالضحك، باذلة ما في وسعها لتتغلب على الإحساس بالغثيان الذي انتابها.

لكن السخرية التي بدت في عينيه وهو يضعها أرضاً أكدت لها أن انزعاجها لم يغفل عنه.

لم تعد ميراندا قادرة على تمالك نفسها، فارتأت أن تغادر الغرفة في الحال قبل أن تتقيأ أمامهما.

www.liilas.com/vb3

- أهذا صوت كارلو؟

وارهفت السمع لتصغي إلى صوت الصراخ الذي ادعت أنه تناهى إلى مسمعها.

- من الأفضل أن أصعد للاطمئنان عليه. سأعود في الحال!

صعدت ميراندا الدرج بصعوبة فائقة، وساقاها النحيلتان ترتعشان بصورة غريبة. هرعت إلى الحمام تغسل وجهها بالماء البارد، محاولة الحد من اضطراب نفسها.

يا لها من ردة فعل غريبة! إنها المرة الأولى التي يخالجها فيها إحساس مماثل! مع أنها لم تتناول شيئاً غريباً قد يجعلها تصاب بالغثيان. تسمرت ميراندا في مكانها مصعوقة. لا! مستحيل! أهي حامل؟

صحيح أن موعد دورتها الشهرية فات منذ بضعة أيام، إلا أنها لم تفكر بهذا الاحتمال مطلقاً. ولم يخطر يومها على بالها أنها قد تكون حاملاً.. لكن الأمر ليس مستحيلاً!

شحب وجهها وترنحت، فأمسكت بالحوض ولم تعد واثقة من حقيقة مشاعرها، أهي سعيدة أم مصدومة؟ فكبرياؤها تأبى أن يعيد دانتي النظر في مستقبل علاقتهما، من أجل الطفل الذي تحمله في أحشائها فحسب. عليه أن يحبها لشخصها وليس لأنها حامل منه من جديد..

مررت يدها على بطنها المسطح ووجدت نفسها تبتسم سعيدة... أيعقل أن يكون طفل دانتي قد بدأ ينمو في أحشائها؟

يا له من إحساس جميل! احساس عليها أن تحتفظ به لنفسها إلى أن تتأكد من مشاعر دانتي نحوها. لكن أين يسعها أن تخضع لاختبار الحمل من دون أن يعرف نصف سكان إيطاليا بالأمر؟

راحت ميراندا تقهقه من شدة الإثارة والفرح، وعادت إلى قاعة الاستقبال والإشراق بادٍ على وجهها.

ما إن دخلت إلى الغرفة، حتى توقف الرجلان عن الكلام وكأنهما كانا يتحدثان عنها. لكن نظرات الاعجاب التي ظهرت في عيونهما أكدت لها أنها

تبدو مدهشة بشكل لافت! وعلى الرغم من ذلك، كان يكفي أن يرميها غيدو بنظرة واحدة خبيثة، ليثير اضطرابها. بدا جلياً أنه يسبب لها الإزعاج، لكنها لم تعرف السبب، فتعمدت أن تجلس بعيداً عنه.

حمل دانتي لها كوب عصير وقال لها هامساً: «تبدين رائعة!».

أجابته هامسة بدورها، وقد أضاءت ابتسامة متألقة وجهها: «شكراً لك!».

وإذ التقت نظراتهما عقد دانتي حاجبيه استغراباً، فتساءلت ميراندا في سرها ما إذا كانت نظراتها قد فضحتها.. وضعت الكوب على الطاولة، وضبطت أعصابها لتتمكن من التصرف بشكل طبيعي.

قال لها غيدو متشدقاً: «تبدو عيناك متألقتين! كأنك تصورين إعلاناً لقطرة عينين أو ما شابه!».

قطرة عينين! رمشت ميراندا بعينيها وقد أدركت سبب استغراب دانتي، فردت عليه بحزم: «إنني سعيدة فحسب. ولا أحتاج إلى مستحضرات اصطناعية!».

- أرجو ذلك!

أعلن غيدو ذلك وهو يحاول المغالاة في التظاهر بالأسى.

صحيح أن قسمات وجه دانتي بدأت تسترخي، إلا أن القلق شق طريقه إلى قلب ميراندا، بعد أن تبين لها أن غيدو يرمي بذور الشك في رأس زوجها، من دون أن تعرف السبب.

- أحضر غيدو أمتعتك من لندن.

أعلن دانتي ذلك في محاولة ماهرة منه لتغيير مجرى الحديث، فجاهدت ميراندا لتقول له: «يبدو أنك الرسول الخاص يا غيدو. أشكرك كثيراً، وأقدر الجهد الذي بذلته!».

أجابها بمرح: «لا عليك. قامت ليزي بمساعدتي».

استرخى في كرسيه، وعيناه الداكنتان تجولان في الغرفة المزخرفة، تتأملان باستحسان السقف المنقوش، والمدفأة الرخامية، والأثاث الفخم.

www.liilas.com/vb3

سألته مندهشة: «وهل تعرف ليزي؟»

افتر ثغره عن ابتسامة وقحة، ثم ضحك ضحكة خافتة، توحي بأشياء كثيرة، جعلتها تنقبض في كرسيها.

- تماماً كما أعرفك!

تنفست ميراندا الصعداء في سرها.. فرده يعني أنه لا يعرفها جيداً..

على الرغم من تعلق دانتي الشديد بأخيه، لم تستلطفه ميراندا يوماً، فهو يوحي إليها بالمكر والأنانية. وتمنت ألا تتورط ليزي في علاقة معه. نظرت إلى يديه الغليظتين، ووجدت نفسها ترتجف من دون سبب وجيه... أيعقل أن يطغى انزعاجها من غيدو على فرحتها بالحمل المحتمل؟

- طلبت من ليزي أن توضب الأمتعة الضرورية واتصلت بغيدو ليجلبها لك. أرجو ألاّ أكون قد أخطأت التصرف.

- إطلاقاً!

وأرغمت نفسها على الالتفات نحو غيدو قائلة له: «كم ستدوم إقامتك معنا؟».

حملقت عيناه الثاقبتان بها بوقاحة! فهو شاب وسيم نابض بالرجولة، ويخال نفسه قادراً على اغواء كل امرأة يصادفها بنظرة واحدة من عينيه.

- بضعة أيام.. إن كنتما لا تمانعان!

- طبعاً!

حاولت أن تتظاهر بالحماسة مراعاة لمشاعر دانتي لكن حدسها حذرها من الدنو منه، وكأنه أفعى سامة! لا شك أن الحمل يجعلها حساسة بشكل مفرط، فطوال فترة عملها في مكتب لندن لم يؤثر غيدو فيها يوماً.. كانت تسمع عن مغامراته العاطفية من خلال الأحاديث التي يتبادلها الموظفون، وتعلم جيداً أنه يدعي الهيام أمام ضحيته، ليتخلى عنها فور نيله مبتغاه منها! صحيح أنها لم تحبه قط، إلا أنها المرة الأولى التي تشعر فيها بالاشمئزاز منه!

- الطقس رديء جداً في انكلترا، فخطر لي أن أعود إلى إيطاليا لأستمتع بالسباحة وحمامات الشمس برفقتكما!

كادت ميراندا تتقيأ لمجرد تفكيرها بنظرات غيدو المسلطة عليها وهي في ثوب السباحة.. ارتشفت جرعة من العصير، علها تخفف من حدة اضطرابها، ثم أعادت الكوب إلى الطاولة، ورفعت عينيها نحو دانتي لتجده يتأمل أخاه بعينين ملؤهما التساهل:

- علينا أن نناقش أولاً بعض القضايا العالقة يا غيدو، ويمكننا بعد ذلك أن نسترخي تحت أشعة الشمس.

أترى مخيلتها توهمها بأشياء لا وجود لها أم أن نظرات غيدو المسلطة عليها هي حقاً أشبه بنظرات صقر كاسر؟ أحست بجسمها يرتجف وقد تسللت عيناه إلى ياقتها المفتوحة، وخيل إليها بأن شيئاً كريهاً يزحف على بشرتها.. ففقدت ميراندا القدرة على الاحتمال، فهبت من مكانها، تحث الرجلين على الوقوف احتراماً لها.

- أرجو أن تعذراني، ولكنني مرهقة جداً، وأفضل أن أخلد إلى النوم لأتمكن من الاهتمام بـ كارلو في الصباح.

ورمتهما بابتسامة رقيقة، وعيناها لا تريان إلا دانتي: «طاب مساؤك حبيبي!».

مشت نحوه بتأنٍ فوضعت ذراعيها حول كتفيه وعانقته عناقاً سريعاً..

أحاطها دانتي بذراعيه وعانقها بشغف محموم قبل أن يطلق سراحها قائلاً: «عمت مساء يا ميراندا!».

ابتسمت له ونظراتها توجه له دعوة مفتوحة، ثم قالت له هامسة: «لا تسهر حتى ساعة متأخرة!».

- أعدك بألا أفعل!

لم تغفل عيناها عن توتر غيدو وانزعاجه، فمرت أمامه بسرعة قائلة: «عمت مساءً».

ولوحت له بيدها وتوجهت نحو الباب بخطى متعثرة.

لحق غيدو بها هاتفاً: «سآتي معك لأريك ما أحضرته لك من امتعة. لعلك تريدين حملها معك إلى الغرفة!».

www.liilas.com

ارتعدت فرائصها، فأسرعت تخرج إلى الرواق وهي تقول: «لا تزعج نفسك.. يمكنني أن أتدبر أمري!».

إلا أنها وجدته خلفها، فزادت سرعتها لتتخلص من مشاعر الخوف التي تستولي عليها كلما وجدت نفسها قربه! ولم تكد تجتاز بضع درجات حتى سمعته يناديها من الرواق: «أخبرني دانتي أنكما سويتما خلافاتكما. أيعني ذلك أنه سامحك على خيانتك؟».

صرخت ميراندا ساخطة: «تعلم جيداً أنني لم أخنه. قلت لك ذلك مراراً وتكراراً حين أتيت للاطمئنان عليَّ بعد اختفائه».

هز غيدو كتفيه بلا مبالاة: «حسناً، عليك الاعتراف بأن روايتك للأحداث لا تفي بالغرض. أظن أن أخي قديس حقاً ليضع شرف العائلة في المرتبة الثانية. وهذا ما قلته له منذ قليل».

استشاطت ميراندا غضباً والتفتت نحوه تقول له بفتور: «إننا نبذل قصارى جهدنا لتعود المياه إلى مجاريها بيننا، وكل تدخل من أي طرف ثالث قد يفسد الأمور. وأظن أن من الأفضل لنا أن تدعنا نحل مشاكلنا بأنفسنا».

رماها غيدو بنظرات مهينة، فأحست بقشعريرة الخوف تسري في جسمها رغماً عنها.

- فهمت الآن سبب إصراره على مسامحتك، مع أنه قد لا يستطيع أن يسامحك أبداً. أيعقل أن يحرم نفسه من هذا الجمال الفتان الذي يعجز، حتى الناسك، عن مقاومته؟ لكنني واثق من أنه سيكره نفسه لاستسلامه لأهوائه.. فدانتي من النوع الذي لا يتخلى بسهولة عن مثله الأخلاقية العالية.

وأطلق تنهيدة أسى ثم تابع يقول: «لا أظنه قادراً على نسيان خيانتك وسوف يتساءل في سره دوماً عما حصل بينك وبين الرجل الآخر».

- أظنك تكلمت بما فيه الكفاية!

- سعادة أخي تهمني كثيراً!

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم عاد يسألها: «هل أنت واثقة تمام الثقة من أنك

لم تكوني برفقة أحد في تلك الليلة؟».

حدقت به عاجزة عن الرد عن السؤال، ومرت في ذهنها ذكرى الأنفاس الحارة على وجهها.. وتلك اليدين الغليظتين، فاتسعت عيناها ذعراً. لا.. إنها ليست واثقة..

اضطربت ميراندا وهي ترى في عينيه امارات النصر.

- ثمة أمر آخر يقلقني!

نظر إليها بوقاحة وأضاف: «أتأملين الاستيلاء على أملاكه كلها؟».

- كيف تجرؤ؟

- لا أجد سبباً آخر لوجودك هنا. فما من امرأة طبيعية ترضى بأن يلمسها رجل لا يكترث لأمرها بتاتاً!

أجابته بفظاظة: «هذا ما تدعيه أنت!».

- إنها كلماته هو!

ودنا منها يأسرها بعينيه الثاقبتين، فتسمرت مكانها وقد أدركت أنه سيتفوه بكلام لا تريد سماعه، إلا أنها مرغمة على سماعه لتعرف الحقيقة.

سألته بنبرة خافتة: «لمَ تقول ذلك يا غيدو؟».

- هذا ما قاله لي منذ دقائق خلت.. كان يضحك سعيداً بميراثه، ولقبه، وابنه.. وامرأته الفاتنة التي تهرع إليه كلما أومأ لها باصبعه!

- لا أصدقك!

جاء صوتها أجش، فتمنت في سرها لو أنها بدت أكثر اقتناعاً.

- لا أحد سواي يخبرك بالحقيقة كاملة. ألم يخفِ دانتي عنك موضوع الميراث وشروطه؟ إنني الشخص الوحيد الجدير بالثقة، ألا تذكرين حين..

- هل تريدينني أن أساعدك في حمل الأمتعة إلى غرفتك؟

تعالى صوت دانتي من غرفة الاستقبال قبل أن يظهر على عتبة الباب.

- لا احتاج إلى الأمتعة التي أحضرها.

- أفضل أن أرافقك إلى الغرفة.

وربت على ظهر أخيه مضيفاً: «غرفتك هي الثانية إلى اليسار. أراك في

www.liilas.com/vb3

الصباح. تصرف وكأنك في منزلك!».

أومضت عينا غيدو قبل أن تستقرا على ميراندا، وعلا صوته بالضحك: «أشكرك يا دانتي على حسن ضيافتك!».

أحست بارتعاش في جسمها فيما راح الأخوان يتعانقان، ويتمنيان لبعضهما البعض ليلة سعيدة. استدارت على عقبها وبدأت تصعد السلم. بدا واضحاً أن غيدو يكرهها ويدبر لها شيئاً ما. لكن ما السبب؟

والأسوأ من ذلك كله هو أنها لا تستطيع أن تنقل مخاوفها لـ دانتي الذي يحب أخاه الصغير حباً جماً.

من الأفضل لها أن تراقب غيدو عن كثب، علّها تتمكن من إزالة الغموض الذي يلف شخصيته!

أحاطها دانتي بذراعه يشدها إليه، فنظرت إليه ممتنة وقد زعزعت إمارات العطف التي ظهرت على قسمات وجهه كيانها.

- تبدين شاحبة!

ورفع حاجبيه سائلاً: «هل أنت مرهقة فعلاً؟».

اضطرمت نيران الشوق في عينيها.. إنه يتوق إلى معانقتها.. هذا ما سوف يفعله.. أليس كذلك؟

- كلا، ولكنني لم أشأ أن أمضي الليل كله أتسامر مع غيدو!

سألها بنبرة مثيرة محاولاً إغاظتها: «أتفضلين النوم؟».

كيف يسعها مقاومته؟ لكن عليها أن تضبط نفسها ولا تضعف أمامه قبل أن تزول شكوكها كلها. فإما أن ينفي كلام غيدو وادعاءاته أو يقر بصحتها.

قالت له بصوت أبح: «إلا إذا كان لديك اقتراح آخر».

- بالطبع. ما رأيك لو نلعب الغميضة.. أو لعبة المطاردة لاختطاف عناق!

- دانتي!

هتفت توبخه مازحة.. فهمهم راضياً ومال نحوها قليلاً يعانقها بخفة، فيما كان يفتح لها باب جناحه. غير أن ميراندا بقيت مصممة على موقفها،

تريد التأكد من أن الأمر يتعدى الانجذاب الجسدي إلى مشاعر أكثر عمقاً.

قالت له وهي تدفعه برفق: «علينا أن نتحدث معاً!».

- لاحقاً.. إنني مشتاق إليك!

غمر الفرح قلبها وقد ازداد عناقه لها قوة، لكنها تمكنت من التملص من بين يديه وتوجهت إلى غرفة الجلوس.

- أرجوك!

رماها بنظرة عجلى ثم أقفل الباب خلفهما بهدوء وسألها قلقاً:

- ما الأمر؟

عليها أن تتكلم معه بصراحة متناهية لتطرد شبح الشك الذي يحوم حولها. أسرعت تسأله قبل أن تخونها شجاعتها: «ما الذي تريده مني؟».

رفع دانتي حاجبيه: «أليس الأمر واضحاً؟».

- أعني.. أهو الانجذاب الجسدي فقط ما يدفعك...

تنهد تنهيدة عميقة، وقال: «بل هناك أسباب كثيرة!».

ثم لوى فمه استياءً، وقال لها بصوت أجش: «تعالي لنجلس يا ميراندا».

أمسك بيدها، وقادها إلى الأريكة، ثم جلس قربها، وأدار وجهها العنيد الذي علاه الحزن ليواجهه. أمسك بيديها بين يديه، فبادرته ميرندا قائلة: «قلت لي مرة إن زواجنا لم يكن مبنياً على الحب».

- هذا صحيح!

أحست بشعلة الأمل تنطفىء في قلبها لدى سماعها رده.

- كنت أقصدك بكلامي يا ميراندا. ظننت حينها أنك تزوجت بي من أجل مالي، ولكنني متأكد الآن من أن ظنوني كلها لم تكن في محلها. إنني متأكد من حبك لي!

تسمرت عيناها عليه وهي تحاول جاهدة استيعاب تلميحاته، وسألته: «أتقصد القول نك لم تحاول التودد إليّ من دون حب؟».

- أبداً! لو كنت قادراً على فعل ذلك لهانت الأمور علي!

ارتسمت على ثغرها ابتسامة مشرقة. لم يتزوج دانتي بها إلا لأنه وقع في

www.liilas.com/vb3

حبها.. وكلام غيدو لم يكن صحيحاً، أو لعله كذب عليها. لكن لمَ تراه يفعل ذلك؟ ألم يقل لها منذ لحظات قليلة إن أخاه يستغلها لمآربه الشخصية؟

قالت له بعصبية: «خيل إلي أنك كنت تتحدث عني مع غيدو..».

- هذا صحيح... سألني إن كنت سعيداً فأجبته أنني نلت كل ما أتمناه!

بلغ الضيق منها مبلغاً فأجابته قائلة: «الإرث، وكارلو، وامرأة رهن إشارتك».

بدا دانتي مصعوقاً وهو يقول: «لست من النوع الذي يصف زوجته بهذا الأسلوب أمام أحد، حتى أخي. أيعقل أن تنظري إلى الأمور من هذا المنظار؟».

صرخت بشغف:

- أفكاري مشوشة، والإشارات التي ترسلها لي متناقضة وتدفعني إلى الجنون.. كيف لي أن أحدد موقفي؟ قل لي صراحة، ما الذي تشعر به نحوي في هذه اللحظة؟

- إنني مشوش الذهن مثلك تماماً، اسمعي يا ميراندا، إنك تثيرين فيَّ مشاعر متضاربة.. حين قررت أن نعيش معاً من أجل مصلحة كارلو، خلت أنني أكرهك وأحتقرك إلى حد يسمح لي بالمضي في هذا القرار بسهولة، لكن بعد أن أدركت مدى حبك لـ كارلو تغيرت نظرتي إليك..

وأخفض عينيه يتأمل إبهاميه يداعبان ظاهر يديها.. وعندما رفعهما من جديد بدتا مشرقتين ثاقبتين تنفذان إلى عمق أعماقها وتحركان مشاعرها الدفينة. مع ذلك لم تجد ميراندا كلامه وافياً، فهبت تسأله ضاربة بعرض الحائط التحذيرات المتواصلة التي كان عقلها يرسلها إليها بالاحتراس: «ما رأيك فيَّ الآن؟».

رفع يده يبعد خصلة من شعره تدلت على جبينه: «إنني أعيش في صراع مرير.. أتعلمين شيئاً؟ لم استطع أن أوفق بعد بين ما أعرفه عنك والكلام الذي سمعته..».

- من سمّم أفكارك كان على خطأ. حصل أمر غريب ليلة عثرت عليَّ

قاطعها بحدة:

- لا يا ميراندا! لا أريد التحدث عن تلك الليلة.. إنها الأسوأ في حياتي كلها!

- أوافقك الرأي!

- علينا أن ننساها يا ميراندا.

وصرّ على أسنانه، فأدركت حجم العذاب الذي يقاسي منه. لن يتمكن أبداً من نسيان ما رأته عيناه.

- علينا أن ننسى الماضي!

- وهل تستطيع نسيانه؟

أجابها بعد صراع مرير مع ضميره: «كلا!».

لم يخف عليه ارتعاش جسمها فاستطرد يقول: ذكرى تلك الليلة تقض مضجعي تماماً كما تقض مضجعك... من الصعب محو تلك الصور التي هزت كياني من ذاكرتي!».

أجابته مدمدمة: «أعلم ذلك!».

- يمكننا أن نتخطى هذه المحنة معاً!

عادت بذور الأمل تنبت في قلبها: «أعترف يا ميراندا بأنني عشت في دوامة لا قرار لها منذ وصولك. حاولت قصارى جهدي، ولم استطع أن أمنع نفسي من التفكير فيك أو الابتعاد عنك.. كلما وقعت عيناي عليك، تملكتني رغبة جامحة بضمّك بين ذراعيّ.. لا يمكننا العيش منفصلين. فأنا أحتاج إليك!»

وعانقها بحنان وهو يتابع قائلاً: «احتاج إليك زوجة لي بكل ما للكلمة من معنى».

حبست أنفاسها وانتظرت.. انتظرت إلى ما لا نهاية... ثم سألته بنبرة مفعمة بالأمل: «وماذا بعد؟».

أجابها بصوت أجش: «وأحتاج إليك...».

حدقت به لبعض الوقت.. إنها اللحظة المناسبة لتعرف حقيقة مشاعره نحوها.

- أتقصد القول إنك تحتاج إليّ لأنك تحبني؟

وانتظرت من جديد... بدا لها كأنه يحاول أن يتوصل إلى قرار. فاضطربت.. أليس واثقاً من حبه لها؟

طال تردده كثيراً... وميراندا متلهفة لسماع الحقيقة..

- كم كرهتك لأنك جعلتني أسير حبك! لكن الجواب هو نعم!

حملها دانتي بين ذراعيه، وتوجه بها إلى غرفتها وأقفل الباب خلفهما.. كانت نيران الشوق مستعرة في أحشائهما تلتهمهما بألسنتها، وتحولهما إلى كتلة من المشاعر المتأججة. مشاعر تبحث عن سبيل لتتدفق فتغمرهما معاً.

استرخت ميراندا بين ذراعيه تحلم بالمستقبل الزاهر الذي ينتظرها مع دانتي وكارلو والطفل المرتقب. لن تدع أحداً يحرمها من عائلتها ثانية، فالقدر جمع بينها وبين دانتي، وستمضي العمر كله إلى جانبه. تنجب له الأولاد وتملأ حياته بهجة وفرحاً! لن تسمح لأحد أبداً بأن يسلبها هذا المستقبل الجميل. إنه الحلم الوردي الذي طالما حلمت به. والجنة التي طالما تاقت إليها..

في ساعات الصباح الأولى، استيقظت ميراندا وهي تشعر باضطراب شديد. راحت تتلوى في فراشها تحاول التخلص من كابوسها المزعج..

كان دانتي ينام قربها قرير العين، فصرت على أسنانها تصارع غثيانها واضطرابها من تأثير كابوسها المريع، الذي بقيت تفاصيله كلها عالقة في ذهنها.

رائحة الفم الكريهة.. الأصابع المخدشة التي أمسكت بها..

رباه! أغمضت ميراندا عينيها مشمئزة من هذه الصور واستولى الذعر عليها وقد أخذت الصور تمر في رأسها بوضوح!

كانت ترى هيئة الوجه المنحني فوقها يهم بمعانقتها وهي مستلقية على سريرها لا تحرك ساكناً.. إنه وجه تعرفه جيداً..

علقت أنفاسها في حلقها وشلّ الرعب أطرافها: إنه غيدو.. إنها عينا غيدو وفمه المبتهج بالنصر.. كان يسخر منها وهي ممددة على الفراش هامدة، عاجزة عن ردعه..

تسارعت أنفاسها من شدة الخوف.. أتراها كانت مخدرة؟ ولهذا السبب لم تأتِ بحركة أو تحاول صده؟

ما الذي حصل بعد ذلك؟ حاولت ميراندا عبثاً أن تستعيد الصور المتبقية، ولكن ذاكرتها أبت التجاوب معها، وتركتها أسيرة شكوكها المريعة!

- رباه! أرجوك.. لا!

أيعقل أن تكون قد تركته... محال..! لا شك أن ما حصل بينهما تلك الليلة هو السبب وراء تصرفات غيدو الغريبة، ونفورها القوي منه، فهو يعرف جيداً ما حصل بينهما، ويسعى لإبعادها عن دانتي بشتى الوسائل.

- حبيبتي!

أجفلت ميراندا ووثبت من مكانها، كأنها قطة مذعورة. وإذا بها تجد نفسها بين ذراعي دانتي، وهو يهمس لها بصوت أجش: «هل راودك الكابوس عينه؟».

اكتفت ميراندا بالإيماء برأسها وقد عقد الخوف لسانها عن الكلام. إنها لا تستحق عطف دانتي.. أو حبه. انهارت قواها كلها وانفجرت بالبكاء، فراح دانتي يمسد شعرها مؤكداً لها أن الأمور ستسير على خير ما يرام، لأنه لن يتخلى عنها أبداً... إلاّ أن ميراندا لم تعد قادرة على الاحتمال أكثر، تملصت من بين ذراعيه وأسرعت متعثرة إلى الحمام، تفرغ كل ما في معدتها، إلى أن وقعت أرضاً وأخذت ترتجف بشدة. ثم شعرت به يمسح وجهها بالمنشفة ويلف جسمها بالأغطية قبل أن يحملها بين ذراعيه من جديد.

يا لقساوة القدر! صحيح أن دانتي اعترف لها أنه لا يستطيع العيش من دونها، إلا أنها لا تملك الحق بالبقاء معه.. فهي سمحت لأخيه.

اغمضت ميراندا عينيها وكلام غيدو يتردد في رأسها: «أعرف أختك تماماً كما أعرفك»

ليزي!.. عليها أن تحذرها منه.

سألها دانتي بنبرة قلقة: «ما الأمر؟ هل عاد الكابوس يراودك؟».

وإذ هزت برأسها، طبع قبلة على جبينها وقال لها هامساً: «إنك بأمان

معي، ولن أدع أحداً يؤذيك!».

لكن ميراندا شعرت أنها بعيدة كل البعد عن الأمان. محال أن يرضى دانتي باستمرار زواجهما إن علم الحقيقة!

LIILAS.COM

١٠ - حب وغدر و.. انتقام

كم كان ارتياح ميراندا عظيماً حين أدركت أن غيدو لم يستيقظ باكراً مثلهم، صباح اليوم التالي. غير أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التأفف غضباً وهي ترى الفوضى العارمة التي زرعها في غرفة الاستقبال..

كانت الزجاجات مرمية على الأرض، وحطام كوب فارغ متناثر على السجادة، أما الوسادات والمقاعد فملطخة ببقايا الطعام، فضلاً عن آثار حذائه القذر الذي أراحه على الكنبة إلى جانب جواربه.

كان الارهاق بادياً على وجه ميراندا، بعد ليلة طويلة لم تذق خلالها طعم النوم، إلا أنها فضلت ألا تتفوه بكلمة عن هذا الموضوع أمام دانتي، فأسرعت تنادي الخادمة من غرفتها لتنظف المكان، قبل أن تنضم إلى دانتي وكارلو في غرفة الطعام. نظر دانتي إليها بقلق، وقال: «تبدين شاحبة يا حبيبتي!».

دمدمت متململة: «أعاني من صداع أليم!».

- لا تقلقي بشأن كارلو، سأهتم به.

قادها إلى كرسيها، وبقي واقفاً بالقرب منها ليتأكد من أنها مرتاحة في مجلسها، ثم قال: «تناولي شراباً ساخناً».

وصب لها الشاي بالبابونج، ووضع طبق الفواكه أمامها مضيفاً: «كلي شيئاً يا عزيزتي!».

التهمت ميراندا حبة فريز وهي تتأملهما. حاولت أن تتخيل حياتها من دونهما، غير أن الفكرة بدت لها مرعبة وكئيبة فأسرعت تطردها من رأسها. لساعات قليلة خلت كانت تنظر إلى الدنيا من منظار وردي، غير أن

www.liilas.com/vb3

الاحباط عاد يشق طريقه إلى حياتها. إنها لا تريد أن تفقد كارلو أو دانتي، فطفلها يحتاج إليها، ومن المؤكد أنه سيذوق الأمرين إن اختفت من حياته ثانية. تذكرت السعادة التي غمرتها قبل أن تستسلم للنوم وأحست بغصة في حلقها وهي ترى أحلامها تنهار أمام عينيها.

ضمت ميراندا قبضتيها تحت غطاء الطاولة. يوماً ما ستخبر دانتي الحقيقة وتفوض أمرها إلى الله. لكن أتراه سيصدقها إن كشفت له هوية الرجل الذي خدّرها وشل حركتها وفكرها؟ عضت على شفتها حائرة في أمرها... هل تفضح غيدو أمام أخيه الذي يعبده، وتقضي على علاقات الأخوة التي تربط بينهما؟

قال لها دانتي برقة وقد أطبق يده على يدها: «ستتجعد بشرتك إن استمريت في تقطيب وجهك بهذه الطريقة!».

اغرورقت عيناها بالدموع، فكبحتها بعناد، ورسمت على ثغرها ابتسامة واهية، قبل أن تجيبه مازحة: «إن كست التجاعيد وجهي سيزول افتتانك بي!».

شد قبضته على يدها ثم رفعها إلى فمه يقبل أصابعها، وقال: «إنني أحبك لشخصك».

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة وهو يتابع قائلاً: «جمالك هبة من الله، لكن حبي لك سيدوم إلى الأبد، سواء علت التجاعيد وجهك أم لا!».

يا لسخرية القدر! انتظرت ميراندا طويلاً اللحظة التي يفصح فيها دانتي عن تعلقه بها... وها هو الآن يقدم لها حبه على طبق من فضة. لكن تلك الحادثة المشينة كبلت يديها وحالت دون أن تمدهما لتمسك بها!

ليت الحمل يكون كاذباً! عليها أن تتحلى بالصبر إلى أن تتاح لها الفرصة للخضوع للاختبار. يتطلب الأمر منها أن تقوم برحلة إلى كومو، حيث لا يعرف أحد هويتها!

ماذا لو ثبت حملها؟ ارتعدت فرائص ميراندا وقد تنازعتها مشاعر متناقضة بشأن هذا الحمل. كيف لها أن تتأكد من الأمر؟

لم تقوَ على احتمال فكرة خسارتها لكل ما أنعم الله عليها به حديثاً، فأخذ جسمها يرتجف وهي تبحث عن سبيل لتنقذ نفسها من هذا المأزق الحرج، عليها أن تتسلح من جديد بدرع القساوة الذي اعتادت على التسلح به لتدفع عن نفسها الأذى.. فسحبت يدها من يده وأعلنت بفتور: «سأصعد لأنظف أسناني ثم أوافيكما إلى البهو».

- لا بأس!

أجابها دانتي بنبرة مرحة، غير عالم باضطرابها وتشوش أفكارها، ثم أضاف: «سأوصله إلى الحضانة بمفردي، إن كنت متعبة.

لم تشأ أن تضيع دقيقة واحدة بعيداً عن كارلو، فهتفت: «كلا! أريد مرافقتك. أظن أن الهواء المنعش سيفيدني».

ما إن بلغت عتبة الباب حتى شعرت بقوة غريبة تدفعها للالتفات، فوجدته يضحك مع كارلو من كل قلبه، وكأن حياته خالية كلياً من الهموم والمشاكل.

ليته يعلم! أحست ميراندا بعبء الأثقال التي سترميها على كاهلهما.. فصعدت إلى غرفتها بخطى ثقيلة، وقد عقدت العزم على اقفال باب قلبها ورمي مفتاحه بعيداً، فلا يتمكن أحد من الوصول إلى كنه مشاعرها! كان مستقبلها كله وقفاً على اختبار الحمل. فإن كان سلبياً، ستخبر دانتي الحقيقة، علّه يوافق على المضي في اتفاقهما السابق. أما إن ثبت حملها.. وتردد البكاء في صدرها.. لا شك أن التزامها الصمت سيضني فؤادها لأن دانتي سيخال الطفل طفله ويغدق عليه بحبه. من الأفضل لها أن تخرج عن صمتها وتفضي إليه بشكوكها، وتتحمل ثورة غضبه!

أتراه سيرغمها على الرحيل؟ اعتصر الألم قلبها، وسالت الدموع غزيرة على خديها. صحيح أنها اعتادت على تحدي المشقات والتغلب عليها، لكنها لم تكن واثقة من قدرتها على مواجهة هذا الموقف. عليها أن تخضع أولاً لاختبار الحمل وبعدها يمكنها تحديد الخطوات التي ينبغي عليها اتخاذها!

اضطربت نفسها من شدة الخوف، لكنها بذلت ما في وسعها لتخفي

www.liilas.com/vb3

مشاعرها، وترسم على ثغرها ابتسامة مشرقة، قبل أن تنضم إلى كارلو ودانتي في البهو.

كان الطقس غائماً ومياه البحيرة اللامعة أشبه بطبقة معدنية صلبة. فأحست ميراندا بنفسها ترزح تحت ثقل إحساسها بالذنب الذي يسحق أعصابها! لكنها تمكنت من اخفاء مشاعرها ببراعة، وحال الفرح الذي غمر دانتي دون أن يلاحظ شيئاً عليها. لم يتوقف طوال الطريق عن الكلام عن غيدو، مؤكداً لـ كارلو أنهم سيلهون كثيراً خلال إقامته معهم. اضطربت ميراندا لدى سماعها كلامه، إذ لم تكن تحبذ اختلاط كارلو بعمه، فهي لا تريد أن يتعرض طفلها لتأثير رجل مثله.

عانقت كارلو بشغف والدموع تكاد تفرّ من عينيها: «إلى اللقاء يا حبيبي!».

أجابها بالإيطالية: «طبعاً!».

وانفجر الجميع بالضحك!

ألقى بذراعه على كتفيها ووقفا معاً عند أعلى الدرج المرصوف بالحصى يتأملان قمم الجبال المسننة، المغطاة بوشاح من الغيوم! لفت انتباههما في الأسفل متزلجاً يحدث أشكالاً حلزونية بيضاء في وسط البحيرة الفضية، فهتف دانتي قائلاً: «إنه غيدو!».

راقبت ميراندا قامته الصغيرة باهتمام، وعلقت قائلة: «إنه بارع».

إنها الفرصة المناسبة لتسأله عن أخيه، علّها تستشف من كلامه سبب إصراره على الحاق الأذى بها.

- حدثني عنه!

علت أمارات الرضى وجهه وقال: «يسرني أن أراه يمضي وقتاً ممتعاً».

وأضاف بنبرة ملؤها العطف: «عاش غيدو طفولة قاسية».

نظرت ميراندا إليه بطرف عينيها، وسألته: «أحقاً؟ لماذا؟».

قطب دانتي جبينه قائلاً: «أخشى أن التحيز هو السبب. لطالما فضلني أبي وأمي وعمي عليه، ولا شك أن الأمر عذبه.. كنت أنا البكر وصاحب

الامتيازات كلها!».

ولوح بيديه بحماسة مضيفاً: «أنا من حصل على الدرجة الأولى، ومن تعلم قيادة السيارة أولاً، وحصل أولاً على الإذن بالبقاء خارجاً حتى ساعة متأخرة...».

- لعلك تتميز عنه بخفة روحك!

- كلا!

أثارت الفكرة روعه، فقال: «لطالما كنت وريث العائلة المميز. صحيح أننا تشاطرنا كل شيء. لكن الأفضلية كانت لي».

تابعا سيرهما والأفكار تتضارب في رأسها، فسألته: «لا بد أنه كان يغار منك! ألا تظن ذلك؟».

أجل... قرأت ميراندا علامات الحسد في عينيه حين علم بميراث دانتي.

ضحك دانتي وأجابها قائلاً: «أظن أن مشاعر الغيرة غريزية لدى الإنسان».

- هل كان لديه الكثير من الأصدقاء؟

وتذكرت ميراندا كيف كان غيدو يزعج العاملين في المكتب فارضاً نفسه عليهم، خلال أوقات فراغهم.

- كلا. كنت الأكبر سناً والأقوى بنية، وعليّ أن أقيه من شر الصبية الآخرين، الذين لا يتوانون عن افتعال العراك معه!

سألته بنبرة جافة وهي تدرك تماماً لِمَ كان الصبية يوسعونه ضرباً: «أمن دون سبب؟».

- كانوا يدعون أنه يتحرش بهم ويسرق أغراضهم، لكن غيدو كان يصر على الإنكار. ومن البديهي أن أصدق كلامه، لأنني لا أخاله يسيء إلى اسم العائلة ويقدم على عمل مشين كالسرقة!

ترددت ميراندا ما بين مواجهته بحقيقة أخيه وخيانته أو التزام الصمت إلى الأبد..

www.liilas.com/vb3

- إنك تحبه كثيراً!

- نعم، هذا صحيح. وأحاول بشتى الوسائل رد الأذى عنه! فالحياة فتحت لي باب الحظ على مصراعيه، وحققت نجاحات باهرة في المدرسة والجامعة على حد سواء. وبعد وفاة والدي، أخذني عمي الذي لم يرزق بأولاد، تحت جناحه، متناسياً تماماً وجود أخي. والحق يقال أن غيدو تعذب كثيراً بسببي.

وافتر ثغره عن ابتسامة كئيبة، وهو يضيف: «لا سيما في الأمور التي تتعلق بالنساء».

ثارت أعصاب ميراندا... إنه مفتاح سلوك غيدو الغريب... كانت واثقة من ذلك.

سألته وفي حلقها غصة: «ماذا تقصد؟».

- كنت دوماً محاطاً بالمعجبات.

بدا الارتباك واضحاً عليه وهو يتابع قائلاً: «كنت صيداً ثميناً بالنسبة الى النساء، ومستقبلي يعد بالكثير».

تردد دانتي قليلاً ثم استطرد يقول بصراحة مطلقة: «لم أخفِ عنك حقيقة الإرث الذي سيتركه عمي لي، إلا لأنني اردتك أن تقعي في حبي لشخصي».

- وهذا ما حصل فعلاً.

شد دانتي على يدها قائلاً: «وأشكر الله على ذلك.. مسكين غيدو، لم يعرف طعم الحب يوماً!».

- فهمت!

لم يفاجئها كلامه، فهي لا تظن أن غيدو قادر على معاملة النساء معاملة جيدة!

بعد فترة وجيزة من انضمامها إلى شركة سافيريني دخلت مرة إلى مرحاض النساء، وسمعت إحدى المستكتبات تشكو من خشونة غيدو وسوء معاملته لها. إلا أنها توقفت عن الكلام عند رؤيتها ميراندا، سكرتيرة دانتي الخاصة، خشية أن تنقل الحديث إليه. لم تتفوه ميراندا بكلمة أمامه، واعتبرت أن اللوم

يقع على المستكتبة وحدها!

- أعترف بأنني ألحقت به الأذى مرة!

تشنج جسدها. ها قد بدأت الأمور تتوضح أمام عينيها، فغيدو يسعى بشتى الوسائل للانتقام.

سألته برقة: «كيف ذلك؟».

- سلبته فتاته!

تنهد دانتي، ورفع عينيه نحوها يتوسلها أن تتفهم موقفه، ثم أضاف: «لم أكن أعلم أنه مغرم بها، لأنه اخفى الأمر عني. وحين ذهبت مرة معنا في نزهة في الهواء الطلق، استمتعت كثيراً بالحديث معها ودعوتها للخروج فلم تمانع. لكن غيدو رآنا معاً، مع أننا لم نحاول إخفاء علاقتنا، فجنّ جنونه وراح يهدد بقتلي حاملاً سكيناً في يده. ومضى وقت طويل قبل أن أتمكن من إقناعه بأنني لم أفعل ذلك عمداً..».

- سواء فعلت ذلك عمداً أو عن غير عمد، ستبقى في نظره الرجل الذي سلبه فتاته.

- أعلم ذلك. بذلت ما في وسعي لأعوض عليه، وأرجو من الله أن يضع فتاة أحلامه على دربه.

قالت له بصوت مرتعش: «إنك طيب القلب!».

- حسناً، كفانا كلاماً عن أخي. سأناقش مع غيدو، بعض الأعمال. يمكننا أن نأخذ بعدها حمام شمس قرب حوض السباحة، ما رأيك؟

تمكنت من رسم ابتسامة واهية على ثغرها، وأجابت: «فكرة ممتازة».

وتساءلت بصمت كيف ستتمكن من تجنب غيدو طوال فترة إقامته معهم!

- عليك أن تقيم حفلة!

تناهت كلمات غيدو إلى مسمعها وهي تدنو من حوض السباحة!

إلا أن عينيها راحتا تبحثان بلهفة عن دانتي، فوجدته ممدداً على كرسي طويل، ويداه مشبوكتان خلف رأسه.

- فكرة ممتازة!

www.liilas.com/vb3

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة وهو يتأمل أخاه الممدد على حافة حوض السباحة، مدلياً إحدى رجليه في الماء. وإذ وقعت عيناه على ميراندا اندفع نحوها وأخذها بين ذراعيه قائلاً: «اشتقت إليك!».

وعانقها عناقاً سريعاً مضيفاً: «تعالي واجلسي قربي لأمعن النظر إليك. أتعلمين شيئاً؟ قررت أنا وغيدو إقامة حفلة في القصر... فما رأيك في الأمر؟».

ارتدت ميراندا ثوب السباحة المؤلف من قطعة واحدة، يعلوه رداء لفّ جيداً حول جسمها، وعقدت شعرها على شكل كعكة، متفادية تزيين وجهها. وعلى الرغم من ذلك، أحست بنظرات غيدو الوقحة تتفحصها.

أشاحت بنظرها بعيداً وردت عليه بحماسة: «إنها فكرة رائعة!».

وجلست قرب زوجها، تقلب في رأسها فكرة خطرت لها فجأة؛ عليها أن تستغل الفرصة الذهبية المتاحة أمامها، وتذهب إلى كومو لشراء اختبار الحمل.

- أود الذهاب إلى كومو لشراء بعض الملابس.

تنهد غيدو قائلاً: «لا تهتم النساء إلا بانفاق أموال الرجال!».

يا له من حقير!

- في الواقع، كنت أنوي أن أنفق من مالي الخاص.

- محال! استعملي بطاقة الاعتماد التي اعطيتك إياها واشتري كل ما يحلو لك!

وابتسم لها دانتي مضيفاً: «يمكنك دعوة ليزي وزملائك في مكتب لندن لحضور الحفلة. ما عليك سوى أن تدوني أسماءهم، لأرسل لهم بطاقات الدعوة.. ستكون حفلة صاخبة..».

أجاب غيدو متشدقاً:

- بل حفلة راقصة. سنخصص مكاناً للفرقة الموسيقية في قاعة الرقص، وآخر على الشرفة، لتتمكن من الرقص في الهواء الطلق. ما رأيك يا ميراندا؟ ألا تروق لك فكرة الرقص مع حبيبك تحت ضوء القمر؟

كانت ميراندا مسترخية تحت أشعة الشمس، مغمضة العينين، تحاول تمالك نفسها كي لا تنفجر غاضبة أمامه، وهي تدرك أن المقصود «بحبيبها» ليس دانتي!... لمَ لا يدعها وشأنها؟

- ما رأيك يا حبيبتي؟

مال دانتي نحوها مبتسماً لها، فكبحت الرغبة الجامحة التي استولت عليها بالارتماء بين ذراعيه والافضاء له بمكنونات قلبها.

- أفضل أن أسبح قليلاً.

- وأنا أيضاً!

قال غيدو ذلك وهب واقفاً عند حافة الحوض، ثم غاص في المياه الزرقاء المائلة للخضرة. لم تحرك ميراندا ساكناً، فسألها دانتي: «أرى أن بالك مشغول».

- صحيح!

- ما الأمر؟

عضت ميراندا على شفتها تراقب تباهي غيدو بمهارته في السباحة، من دون أن ينسى التلويح لها بيده لتنضم إليه. هبت رياح التمرد في معدتها.. أهو غثيان الصباح الناجم عن الحمل أم الاشمئزاز من وجود غيدو؟ لم تكن واثقة أبداً! لكنها واثقة من أمر واحد وهو أنها لن تسمح له بالاقتراب منها، مهما حصل.

- إنها الكوابيس التي تراودني. أحاول عبثاً التخلص منها. وصف لي الطبيب حبوباً منومة، مع أنني أفضل ألاّ أتعود عليها، لكنه أكد أن من الضروري أن أعرف السبب الأساسي وراء تكرار هذه الكوابيس!

زم دانتي شفتيه: «لا أريد أن..».

- أعلم أنك لا تريد التحدث في الموضوع، وتفضل أن تطوي صفحة الماضي إلى الأبد!

مدت يدها تداعب ذراعه راجيه أن يتفهم وضعها، واضافت: «لكن الأمر لم ينتهِ بالنسبة إليَّ بعد! ولن يهدأ لي بال قبل أن أواجه الشياطين التي لا

www.liilas.com/vb3

تنفك تطاردني».

- حتى وإن اكتشفت شيئاً كنت تفضلين ابقاءه طي الكتمان؟

أبعدت يدها عن ذراعه والألم يعتصر فؤادها. دانتي ليس واثقاً من براءتها، لكنه قرر نسيان الماضي، آملاً أن يحمل المستقبل معه أياماً أفضل. وأي أمل لها في المستقبل وزوجها يخالها خائنة؟

قالت له وهي تثبت حزام ردائها: «أريد منك أن تروي لي ما حصل من وجهة نظرك، فروايتك للأحداث مهمة جداً بالنسبة إلي».

لم ينبس دانتي ببنت شفة، فاستولى عليها الذعر..

- أرجوك يا دانتي، قد يأتي كلامك عليّ بمنفعة كبيرة..

علا صراخ غيدو من وسط حوض السباحة: «هيا.. تعالي..».

هز دانتي رأسه على مضض، ثم التفت نحو أخيه صارخاً بدوره: «لاحقاً، استمتع بوقتك!».

سألته بصوت مرتعش: «هل أنت موافق؟».

دمدم مجيباً: «تعالي، لا يمكننا مناقشة هذا الموضوع هنا».

وشدها إليه بقوة حتى تلاصق جسداهما، ثم قال: «من الأفضل أن ندخل إلى المنزل، تبدين شاحبة، ولا أريد أن يلاحظ الناس شيئاً».

عقد حاجبيه وتابع يقول: «تحتاجين إلى ساعات طويلة من النوم كي لا تتدهور صحتك».

عاد دانتي يولي أهمية كبرى للقيل والقال، فوجدت ميراندا نفسها عاجزة عن وضع ثقتها فيه إلى أن يقرر رفع النقاب عن الحقيقة كاملة. أجابته بفتور: «شكراً لاهتمامك!».

أحست بخيبة أمل كبيرة، وخشيت ألاّ يكون حبه لها مطلقاً لا يحده قيد أو شرط. تناول دانتي منشفته ولفها حول خصره، ثم قادها إلى داخل المنزل وعينا غيدو تلاحقانهما بغضب شديد.

دخلا المنزل معاً، وذراعاهما متشابكان، وجسداهما متلاصقان، صحيح أن رؤيتهما معاً تبهج العين، إلا أن قربه منها أعاد أيضاً الطمأنينة إلى قلبها،

www.liilas.com/vb3

قلبها، فأحست وكأن القوة المنبعثة منه تتسرب إليها، وتشد عزيمتها لتتمكن من التغلب على الصور المريعة التي تمر في رأسها كل ليلة.

- سندخل إلى غرفة المكتبة!

وفتح الباب لها ثم أقفله خلفهما!

توقعت ميرندا أن يجلس بعيداً عنها، غير أنه أخذها إلى الأريكة وأجلسها قربه، فلبثت ميراندا مكانها متصلبة، تنتظره ليبدأ بالكلام. إلا أنه راح يحدق في السقف والعبوس بادٍ على وجهه، فحثته على الكلام قائلة: «أرجوك يا دانتي لا يمكننا أن نتفادى الحديث عن الموضوع».

- أعلم ذلك. والله وحده يعلم كم بذلت من جهد.

وأطلق تنهيدة عميقة ثم تابع يقول: «إنها الطريقة الوحيدة لأواجه المشاعر التي خالجتني نحوك».

- تابع كلامك!

مد يده يعبث بمقطع ورق قديم وضع على الطاولة أمامهما، وقد بدا متردداً في نبش الماضي. إلا أنه ما لبث أن تنحنح يستعد ليبدأ بالكلام، فتنفست ميراندا الصعداء.

- تعلمين جيداً أنني كنت في رحلة عمل في ميلانو..

هزت ميراندا برأسها، فاشتد عبوس وجهه واستطرد يقول بصوت أجش: «وتمكنت من حجز بطاقة سفر على أول رحلة متوجهة إلى لندن، بغية رؤيتك».

LIILAS.COM

- هذا لطف منك!

- كلا!

وجمدت قسمات وجهه. قبل أن يضيف: «سمعت أحدهم يقول إنك تهملين كارلو، وتتسكعين مع عشيقك».

- فخطر لك أن تقبض عليّ بالجرم المشهود.

تحول فمه إلى خط رفيع من شدة التوتر وأجابها بحدة: «كان لا بد من معرفة الحقيقة. وفي طريق العودة إلى المنزل، اتصل غيدو بي على هاتفي

الحلوي. .».

- غيدو!

اتسعت عيناها ذهولاً!

- أجل. وطلب مني العودة من إيطاليا في أقرب فرصة ممكنة، لأنه لم يكن على علم بعودتي المبكرة، ثم أخبرني أنه جاء لزيارتك فوجدك في وضع مريب.

هتفت ميراندا مشوشة الذهن: «مهلاً. كيف تمكن غيدو من الدخول إلى شقتنا؟».

أجابها ساخطاً: «أعطيته المفتاح الإضافي. قال لي مرة إنه يظنك تستضيفين رجالاً خلال غيابي، ويود أن يفاجئك!».

استعرت نيران الغضب في أحشائها. يا له من منافق بارع!

- كنت على بعد دقائق قليلة من المنزل حين اتصل بي.

حاول دانتي الحفاظ على رباطة جأشه، إلا أنها أحست بالغضب المتأجج في أعماقه، وهو يستعيد أحداث تلك الليلة.

- كان المشهد تماماً كما وصفته لك من قبل! لا تطلبي مني أن أصفه ثانية، فهو محفور في ذهني بما يكفي!

وبدا عليه الامتعاض الشديد.

- لم تخبرني أن غيدو كان في شقتنا عند وصولك.

- لحسن الحظ أنني وجدته في المنزل، فحالتك الذهنية لم تكن تسمح لك بفتح الباب.

أجفلت ميراندا وسألته: «صف لي حالته. كيف وجدته؟».

- لماذا؟

التفتت نحوه منفعلة وصرخت: «أرجوك! أريد أن أعرف!».

هز كتفيه بنفاد صبر محاولاً أن يتذكر التفاصيل بدقة: «أظنه كان مرتبكاً».

- لمَ تقول ذلك؟

- بَدا أشعث الشعر، على غير عادة، ومنزعجاً بعض الشيء.

- ماذا أيضاً؟

- أذكر أنه كان يتنفس بصعوبة ولا يجد العبارات المناسبة ليبدأ بها كلامه، فراح يتمتم كلاماً غير مفهوم. . ربما من شدة الاحراج.

سلمت ميراندا بصمت بأن وصول دانتي على حين غرّة أربكه، وامتلأ قلبها فرحاً. . كان غيدو يظن أن دانتي لن يصل إلى المنزل قبل مرور ساعات طويلة، فدس لها مخدراً في الشراب لتفقد الوعي، أتراه كان ينوي بها شراً، ولهذا السبب بدا مرتبكاً إلى هذا الحد؟

لا شك أنه سمع دانتي يدخل الشقة، ففقد صوابه، وشعر بالارتباك.

سألته وقد بلغ التشنج منها مبلغاً: «ما الذي قاله بالضبط؟».

أتراها عملية مدبرة لتدمير زواجها والحاق الأذى بـ دانتي انتقاماً منه؟

ضمت ميراندا قبضتيها، وفي رأسها أكثر من طريقة لرد الصاع له صاعين إن ثبت أنه وراء هذا الأذى المتعمد. .

دمدم دانتي وهو يطرق بمقطع الورق على الطاولة: «بدا حريصاً على تجنيبي كل أذى، فأبدى تعاطفه معي، وحثني على إنقاذ شرف العائلة والرحيل مع كارلو في الحال. .».

رمى مقطع الورق جانباً وألقى بثقله على الوسادات فشعرت ميرندا أنه يرزح تحت عبء لا يحتمل!

- شعرت وكأن قطاراً سحقني، فتوقف ذهني عن العمل. . مكثت حائراً في أمري لا أعرف ما عليّ أن أفعله. . لا أنسى أنه ساعدني على توضيب أمتعة كارلو، وحجز لنا بطاقات السفر، وكتب لك رسالة. .

هتفت ميراندا مندهشة: «أهو غيدو من كتب تلك الرسالة؟».

أجابها بحدة: «كانت أفكاري في حالة من الفوضى العارمة، فأمليت عليه ما ينبغي كتابته. .».

- طالباً مني أن أكسب رزقي من الحياة العابثة الرخيصة!

انتظرت ردّه بقلق، وإذ رأت الذهول في عينيه استرخت قسماتها.

- محال أن أطلب منه كتابة ذلك!

www.liilas.com/vb3

أجابته بنبرة مرتعشة: «ما زلت احتفظ بالرسالة!».

إنها تملك دليلاً حسياً على حقد غيدو وكراهيته.

- احتفظت بها لاستعملها في المحكمة، إن دعت الحاجة لذلك! يمكنك أن تقرأها إن شئت.

أخفض دانتي عينيه يتأمل قبضتيه المضمومتين، وقال: «آسف، لا شك أن تصرفك روّعه فكتب تلك الكلمات. كنت في حالة من الاضطراب الشديد ولا أعي ما يدور من حولي».

أحست كأن الكلمات ستخنقه، وهو يضيف: «هذا يكفي يا ميراندا.. لا أريد الاستمرار في ذلك!».

بدت نظراته شاردة، فاغرورقت عيناها بالدموع: «أعلم أنك مررت بأوقات عصيبة، وأرجو منك أن تسامحني على ما سببته لك من ألم. لكن كلامك أوضح لي أموراً كثيرة».

غطت ميراندا وجهها بيديها.. غيدو هو صاحب الرسالة وليس دانتي، وهو لم يتوانَ عن إبعاد أخيه عن المنزل بسرعة قبل أن تستعيد وعيها وتدافع عن براءتها. إنه شيطان متجسد في إنسان!

- يا إلهي!

كم كانت تتوق لاخباره بالحقيقة! نظرت إليه من بين أصابعها، تتوسل إليه بصمت أن يسبر أغوار ذهنها ويعرف ما يدور فيه. قطب دانتي جبينه وقد بدا عليه التردد، إلا أنه ما لبث أن أخذها بين ذراعيه، وأراح رأسها على صدره مداعباً شعرها بيده، وهو يقول: «لا تفكري في الموضوع».

- أريدك أن تعلم أن أحدهم دس لي المخدر في شرابي ليفقدني وعيي.

خانتها شجاعتها ولم تقوَ على قول المزيد، فرفعت يدها وأمسكت بوجهه وأرغمته على النظر إليها.

- ميراندا!

- لا... أرجوك.. أصغِ إلي حتى النهاية.. أظنك تأكدت بنفسك من أن الإشاعات التي بلغت مسمعك حول إهمالي لـ كارلو لم تكن صحيحة!

- أجل باستثناء..

- تلك المرة اليتيمة. لكننا متفقان على أن شيئاً ما حدث تلك الليلة... شيء خارج عن إرادتي..

- لا أفهم..

- دانتي!

حدقت به طويلاً: «صدقني، ثق بي. فأنا لست إنسانة خبيثة. وتلك الشائعات التي سمعتها عن خيانتي لك هي مجرد أكاذيب أياً كان مطلقها».

بدا واضحاً أنه يقلب الفكرة في رأسه.

- جلّ ما يسعني قوله هو أنني لم أخنك أبداً. ومهما حصل في تلك الليلة، لست المسؤولة عنه.

- لكن شيئاً ما حصل في تلك الليلة ولا يمكننا ادعاء العكس.

نهض من مكانه وعلى وجهه أمارات الحزن، وقال لها بصوت أجش: «ارجو منك أن تعذريني. لم أشأ أن أفعل ذلك. لم أشأ أن أتذكر ما حصل، واحتاج إلى البقاء لوحدي. لا يمكننا الحديث عن هذا الموضوع مراراً وتكراراً، فهو يقتلني حين أتخيلك بين ذراعي رجل آخر..».

وأومأ بيده بغضب مضيفاً: «لا يمكنك أن تتخيلي ما يصيبني. سأرحل من هنا!».

- إلى أين؟

- لست أدري. اعتذري من غيدو نيابة عني!

وخرج من الغرفة قبل أن تتمكن من النهوض لتمنعه.

أحست ميرندا بالانهاك يستولي على جسمها.. لا شك أن تفكيره بما حصل هو أقوى من قدرته على الاحتمال، كم سيكون عذابه أليماً حين يدرك ما فعله أخوه. لكن ميراندا لا تقوى في الوقت الحالي على الإقدام على أي خطوة. استشاطت ميراندا غضباً من خساسة غيدو وراحت تذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً، والإحساس بالظلم يتأجج في أحشائها. تسمرت فجأة مكانها، وأحست أنها لم تعد خائفة من غيدو، فهو حثالة المجتمع ولا يستحق

www.liilas.com/vb3

خوفها.
رفعت ذقنها بتحد ودخلت إلى غرفتها بشكل عاصف فاختارت قميصا أبيض وسروالا ملائما من الكتان ارتدتهما على عجل استعدادا لامتحان القوة.
عادت إلى حوض السباحة تبحث عن غيدو فوجدته ممددا على كرسي طويل يأخذ حمام شمس حدقت بجسمه المطلي بالزيت بقرف ثم حملت إبريق الليموناظة وسكبته فوقه.
-بحق السماء!
تجاهلت تذمره وأمسكت بشعره المبلل ترفع رأسه نحوها بشراسة قالت بحدة ((أصغ إلي جيدا))
وظهر الازدراء في عينيها وهي تتابع :((أعرف جيدا ما فعلته وما الذي تحيكه لكن حذار ان تهدد زواجي أو علاقتي بإبني فإن فعلت لن أرتاح أو يهدأ لي بال قبل أن أكشف للناس كذبك ومكائدك إياك أن تستخف بي يا غيدو! قد تحسبني هادئة الطبع لكنني أتحول إلى امرأة شرسة دفاعا عمن أحبهم! ولن أتوانى عن تقطيعك إربا إربا إن كنت السبب في حرماني من زوجي وإبني))
التقت عيونهما فأدركت ميراندا أنها تواجه عدوا مخيفا:
-أرى أنك أعلنت الحرب!
قال لها ذلك بخبث وتابع يقول((ترى من سيفوز منا؟يمكنني ان أسحقك بغمضة عين!))
أجابته بعجرفة: ((خسئت))
وأسرعت تغادر المكان قبل أن يلاحظ ارتعاشها.إنها حرب معلنة وعليها أن تحترس من غدره كما يجدر بها أن تقصد بلدة كومو في أقرب فرصة لجلب اختبار الحمل.

www.liilas.com/vb3

11
- قصر الأحلام والأوهام

فوجئت ميراندالدى سماعها قرار دانتي بمرافقتها إلى كومو فسألته متململة فيما كانوا يتناولون طعام الفطور: ((أتريد مرافقتي للتسوق؟))
لم يرفع نظره إليها وبقي اهتمامه مركزا على قطعة الخبز المحمصة التي كان يطليها بالزبدة.
-أريد أن أعرفك على العاملين في المصنع!
ثم أردف بحزم لا يقبل االجدل: ((ألحوا على لأعرفهم عليك ومن الفظاظة ألا نمر لإلقاء التحية عليهم))
قضم قضمة من قطعة الخبز ثم شغل نفسه بإطعام كارلو. أمعنت ميراندا النظر إليه بحزن صحيح أنهما ناما سوية البارحة إلا أنها وجدته مختلفا....
أقل حنوا أكثر بؤسا...
أحست وكأنها واقفة على حبل بهلوان لا تعرف متى يرميها أرضا. ألا يعقل أن يتمكن غيدو من تحقيق مآربه فيقتنع دانتي بأنها لا تستحق العيش معه تحت سقف واحد؟
أجابته قائلة: ((يسرني أن أتعرف على الجميع))
من الأفضل أن تلتقي بالكثير من الناس ليدرك دانتي أن الجميع يعتبرها انسانه صريحة لا تعرف الكذب. مالت إلى الأمام لتلامس يده فأجفل وسحبها إلى الخلف. صرت على أسنانها مصعوقة من صده لها وبذلت جهدا كبيرا كي لا تدع الذعر يستولي عليها.
-أريد أن أتعرف على أصدقائك كلهم وأريدك أن تقابل أصدقائي من جديد. كانوا يروقون لك أليس كذلك؟ ترقى معرفتي ببعضهم إلى أيام

الدراسة.

ردّ دانتي عليها بنبرة قاسية: «أذكر أنهم كانوا يحبونك كثيراً!».

أرادت أن تقول له إن أخلاصهم لها على مدى سنوات طويلة، هو خير دليل على حسن سلوكها، إلا أن كارلو راح يتأفف من حديثهما فعدلت عن ذلك.

في الطريق إلى كومو، تعمدت ميراندا ألا تكثر من الكلام. من جهته، لم يظهر دانتي استعداداً للرد على أسئلتها حول الأماكن التي كانوا يمرون بها، إلا بأجوبة مقتضبة. ومع بلوغهم مصنع الحرير، خشيت أن يلح عليها ليتظاهرا بالحب والهيام أمام العمال حفاظاً على ماء الوجه. إلا أن العمال غمروها بترحيبهم الحار، وقادوها في جولة في أنحاء المصنع. جولة لم تخلُ من الاعتداد بالنفس والمودة، فأحست ميراندا بنفسها أسيرة حماستهم.

قال لها مدير المبيعات وهو يقلب أمامها نماذج من التصاميم العالمية التي صنعت من حرير سافيريني: «تعلمين جيداً أننا نبيع حرير مصنعنا إلى أشهر دور الأزياء في أوروبا. . انظري».

هتفت ميراندا إعجاباً: «رائع! إنه سجل حافل يا سيد غورداني».

وتردّدت قليلاً قبل أن تسأله متلعثمة وقد أدركت أن زوجها يتحدث على الهاتف في مكتب آخر: «ألم تجد صعوبة في اتباع أسلوب زوجي في العمل بعد وفاة الكونت أماديو؟».

أرادت أن تسمع تأكيداً منه على طيبة قلب زوجها لا سيما وأن أكاذيب غيدو، تركت بعض الشكوك في نفسها.

ابتسم مدير المبيعات لها وأجابها مبتسماً: «صعوبة؟ صحيح أن أماديو كان إنساناً مميزاً وبمثابة أب لنا، إلا أننا نعرف زوجك منذ سنوات طويلة ونعتبره أخاً لنا»!

أفرحها ردّه كثيراً، فعادت تسأله: «ماذا عن غيدو؟».

عقد الرجل حاجبيه بشدة، وأجابها قائلاً: «ما رأيك لو تتناولي الغذاء برفقتنا؟».

يا لها من وسيلة بارعة للتهرب من سؤالها! أومأت ميراندا برأسها، وغمغمت قائلة: «لا شك أنك إنسان مخلص ولبق».

قبل الرجل يدها مجيباً: «إنه لمن دواعي سروري أن أتعرف عليك كونتيسة».

كان دانتي واقفاً عند عتبة الباب وعيناه تتنقلان بينها وبين مديره.

- تركت في نفوسهم أثراً طيباً.

قال لها ذلك بفتور فيما كانا يعبران الشارع، وأضاف: «وطرحت أسئلة مثيرة للاهتمام. أشكرك».

- أثار المكان اهتمامي، وعملك رائع جداً.

وغرقت ميراندا في بحر من الصمت، متسلحة بالتحفظ والتهذيب طوال فترة الغداء.

بعد انتهائهما من تناول الطعام، أصر دانتي على اصطحابها في جولة على المتاجر، وساعدها على انتقاء ملابس للسهرة. فلم يتسنَ لها أن تتملص منه وإن لدقائق قليلة، لتذهب إلى الصيدلية.

كان الوقت متأخراً حين سلكا طريق العودة إلى المنزل. وعلى الرغم من المشاهد الرائعة الممتدة تحت أنظارهما بقيت ميراندا فريسة الاحباط. بدت الجبال شامخة خلف البحيرة الرمادية الحريرية، وقد ألقت أنوار المصابيح الخافتة المائلة للزهري بظلالها عليها. ولم تكد تمر بضع دقائق حتى اشتدت ظلمة الليل وازدادت قمم الجبال قساوة، كأنها تعكس مزاج دانتي. كم تغيرت تصرفاته معها!

كان جزءً منها نادماً على تذكيره بتلك الليلة المشينة. فمذاك الحين، تحول دانتي إلى إنسان منغلق على نفسه، شديد التحفظ. ومع مرور الأيام، تضاعف انطواؤه على ذاته، إلا عندما يكونان وحيدين في غرفتهما.

إذ ظلا يتبادلان المشاعر المحمومة ليلاً، بشغف ولهفة، ليستعيد دانتي في الصباح طبعه الشرس متفادياً النظر إليها، أو حتى التخفيف عنها، حين تستيقظ من نومها مذعورة.

www.liilas.com/vb3

لم تجد ميرندا أمامها سوى التحلي بالصبر، وإخفاء مشاعرها تحت ستار من البرودة واللامبالاة. إن أراد دانتي نبذها من حياته، ستوصد أبواب قلبها إلى الأبد. صحيح أنها لا ترغب في ذلك، إلا أنها الوسيلة الوحيدة لتقي نفسها من الأذى.

- هل دانتي هنا؟

كان الوقت متأخراً وكارلو لم ينم بعد، فجلست قربه تقرأ له قصة. نظرت بطرف عينها إلى غيدو الذي دخل غرفة الجلوس من دون استئذان وأجابته بجدة: «إنه يعمل!».

فانفجر ضاحكاً وكأنه يخفي سراً.

راقبته ميراندا بعينين ملؤهما النفور وهو يدنو منها. مد يده ليداعب كارلو، فأطلق هذا الأخير صرخة حادة وتعلق بها أكثر. استولى عليها الرعب وهي تراه يرسم بإصبعه حافة ياقة قميصها. مضت بضع ثوانٍ قبل أن تتمكن من الإمساك بيده، وإبعادها عنها. وإذ لمحت ظلاً على الباب، التفتت إلى الخلف، فوجدت دانتي مسمراً عند العتبة.. زحف الاحمرار إلى بشرتها وهي تراه يرميها بنظرات حادة، قبل أن يستدير على عقبه، ويغادر المكان من دون أن يتفوه بكلمة.

صرّت ميراندا على أسنانها وصرخت في وجهه مشمئزة مما حصل: «اخرج من هنا!».

- ما رأيك لو نحاول أن التوصل إلى اتفاق؟

- فلتذهب إلى الجحيم أنت واتفاقك! ألا ترى أنك تقضي على زواجي؟

كشر غيدو عن أسنانه استهزاءً: «أظن أن إقامتي هنا قد طالت. عليَّ أن أتحرك بسرعة قبل أن يطلب مني أحد الرحيل».

- ماذا تقصد؟

- سترين!

راقبته شاحبة الوجه وهو يغادر الغرفة مغلقاً الباب خلفه، فضمت كارلو إليها بقوة، وأفكارها في حالة من الفوضى العارمة.

منذ وصوله إلى إيطاليا، وغيدو يحاول التحرش بها، متفادياً بطريقة مصطنعة الاقتراب منها، كلما وجد نفسه في حضرة دانتي. أما ميرندا، فكانت تعي جيداً ما يحاول أن يفعله؛ إنه يزرع بذور الشك في عقل أخيه؛ والحق يقال إنه ينجح في ذلك.

بعد أن خلد الصبي إلى النوم، نزلت ميراندا تبحث عن زوجها، فوجدته على الشرفة يتأمل القمر الذي بدا على شكل هلال. كانت السماء سوداء حالكة، تتلألأ النجوم الصغيرة فيها. وقبل أن يتسنى لها أن تلفت انتباهه إلى وجودها، سار نحو الحديقة. فلحقت به إلى أن وصل إلى المعبد الصغير قرب البحيرة، واتكأ إلى أحد أعمدته. كان السكون يسود المكان، وأنوار البلدة المشعة تنعكس على سطح مياه البحيرة الراكدة، وأحست بقلبها يرتعش فجأة. كان المشهد جميلاً. والنور المنبعث من أحد المصابيح المنصوبة عند حافة البحيرة يبرز قسمات وجه دانتي المنحوتة كالصخر.

- دانتي!

نادته برقة وحنان تعارضا مع نواياها السابقة كلها.

قال لها مدمدماً: «أتيت إلى هنا طلباً للوحدة».

لن تسمح له بأن يصدها، فالمسألة غاية في الأهمية.

- لحقت بك لأطلب منك شيئاً مهماً.

تقدمت نحوه آملة ألا يعاملها بعناد وقساوة وبادرته قائلة: «أبعد غيدو من هنا، فهو لا يكف عن ازعاجي».

رماها بنظرة باردة، قبل أن يقول: «يخيل إليَّ أن الواقع مختلف بعض الشيء».

قطبت جبينها وقد خانتها شجاعتها أمام نظرات الاحتقار في عينيه. لا بد أن صورة أخيه وهو يلامس ياقة قميصها بإصبعه تمر في ذهنه. لكن ما سبب غضبه منها؟

- أتظن أنني شجعته؟

أومضت عيناه السوداوان، وقال: «أخبرني غيدو أنه كان يداعب كارلو

www.liilas.com/vb3

فأمسكت بيده».

صرخت مرعوبة: «لا، إنه يكذب! كنت أحاول منعه!».

- كفى!

والتفت نحوها فجأة، لترى نيران الغضب مستعرة في عينيه.

- منذ وصوله إلى المنزل وهو يشكو من تصرفاتك.

ساد الصمت بينهما وقد شحن الجو بالتوتر. لم تنبس ميراندا ببنت شفة، وأحست بدموع الألم تسد حنجرتها وتعقد لسانها عن الكلام.

- أريدك أن تعودي للنوم في غرفتك!

أخذت نفساً عميقاً وأرغمت نفسها على سؤاله بصوت خافت: «لماذا يا دانتي؟».

بدت نظراته مفعمة بالاحتقار حين سألها: «هل تعرفين اسمي؟».

- ما الذي تقوله؟

ووضعت يدها على صدرها الذي أخذ يعلو ويهبط بسرعة!

- كم تبدين بريئة وجميلة. قبل أيام قليلة، كنت لأعانقك بشغف إذا ما رأيتك على هذه الصورة!

هل مات الحب والشغف في قلبه وحل محلهما الغضب المتقد؟ هل استطاع غيدو أن يسمم أفكاره ضدها؟

أجابته بصوت منخفض: «لكن ليس الآن!».

- كلا... ليس وأنت تتمتمين باسم أخي وأنت نائمة!

- رباه!

جاءت إدانتها من بين شفتيها!

أغمضت عينيها تقاوم الرغبة الجامحة التي تملكتها بالارتماء على العشب وإطلاق العنان لدموع حبستها طويلاً، فالوقت ليس ملائماً لذلك. بذلت ميراندا جهدها لتضبط أعصابها، فعضت على شفتها حتى أدمتها. عليها أن تتمالك نفسها بأي ثمن! فأختها واصدقاؤها سيصلون في أي لحظة للمشاركة في الحفل الذي يقيمه دانتي في الغد، عليها أن تتصرف بصورة طبيعية

أمامهم، حتى وإن كان عالمها ينهار من حولها!

إنه اسلوب غيدو في الانتقام! لكن كيف استطاع أن يقنع دانتي بأنها تغازله؟ إنه فائق الذكاء، ولم يعد بوسعها أن تخبر دانتي بأن غيدو هو من دس المخدر في شرابها، لأنه سيتهمها حتماً باختلاق الأعذار..

عادت ميراندا أدراجها تجر أذيال الخيبة والذل. لقد فقد زوجها ثقته بها، وإن علم بحملها، سيصر على أن الطفل هو طفل غيدو. ولعل أكثر ما يثير خوفها هو أن يكون مصيباً في كلامه.

غطت وجهها بيديها وقد بلغ الأسى منها مبلغاً، وتساءلت متأوهة: «متى تتاح لي الفرصة لشراء اختبار الحمل؟».

لن تتمكن في الغد من الذهاب إلى كومو لأنها ستمضي النهار كله برفقة ليزي وأصدقائها..

تأملت القصر بعينين غارقتين بالدموع. لا شك أن الجميع سيحسدها على حياتها الجديدة؛ زوج وسيم، وطفل رائع، وقصر أشبه بقصور الأحلام، يعج بالتحف واللوحات الثمينة. غير أن هذه الثروات كلها لا تساوي شيئاً عندها من دون حب دانتي لها وثقته بها. إنها على استعداد للتخلي عن ذلك كله مقابل أن تتخلص من عذابها الأليم.. وذلك الاحساس الكريه بالوحدة.

جل ما تتمناه هو أن يحبها دانتي. أتراها تطلب الكثير؟

- ليزي!

وقفت ميراندا مشدوهة لا تصدق ما تراه عيناها... عليها أن تقول شيئاً... لن تدع اختها تقع ضحية الخداع. فمنذ وصولها ليلة البارحة وليزي لا تفارق غيدو لحظة واحدة.

بعد تناول الغداء، صعد ضيوفها إلى غرفهم ليأخذوا قسطاً من الراحة تاركين ميراندا وزوجها يهتمان بالترتيبات الأخيرة للحفل.

وبينما كانت تشرف على تعليق أسلاك تتدلى منها مصابيح صغيرة، ذعرت لرؤية أختها وغيدو متعانقين!

www.liilas.com/vb3

- ليزي!

فالتفتت أختها نحوها، مبعدة غيدو عنها برقة، ثم هرعت إليها ووجهها ينبض بالفرح.

- يا له من مكان رائع! إنني سعيدة جداً من أجلك. حسناً، ما الذي تريدينه مني؟

- إنه فستاني.

قالت ذلك بنبرة صوت مرتفعة، كي لا تساور غيدو الشكوك حول السبب الحقيقي وراء إبعادها ليزي عنه.

- أريدك أن تعطيني رأيك فيه. اشتريت فستاناً ذا ألوان زاهية لماع وآخر بسيطاً ورائعاً..

- لا أريد سماع المزيد.

ودست ليزي ذراعها تحت ذراع ميراندا وبدأت بالسير إلى جانبها.

- أريد أن أقول لك شيئاً يا ليزي ولا أظنه سيروق لك!

أجابتها ليزي قلقة: «تبدين شاحبة. هل من مشكلة؟»

- انتظري لنصل إلى غرفتي؟

بدت ميراندا مضطربة، وأملت أن تساعدها أختها في التخفيف من عبء الثقل الذي أضنى كاهلها!

- أريد أن أخبرك أشياء كثيرة..

لم تحاول ليزي مقاطعتها، وبدت مصدومة وهي تصغي إلى قصتها كاملة، من الألف إلى الياء. ومع بلوغها النهاية، شعرت بالبكاء يتردد في صدرها، وقالت: «أعلم أنك لن تصدقيني. فأنت مجنونة بحب غيدو!».

- حبيبتي!

قالت ليزي ذلك وضمتها بين ذراعيها وهي تضيف: «صحيح أنه وسيم وميسور، لكنني لم أكن يوماً مجنونة بحبه. فكلما توثقت معرفتي به، كلما ازداد نفوري منه. يؤسفني جداً ما أصابك، والحق يقال إن ما مررت به أثار هلعي. ليتك أفضيت إليّ بمكنونات قلبك، فأنا أحبك وأكن لك الاعجاب

الشديد، وأعلم جيداً أنك لا تعرفين الكذب».

تنهدت ميراندا قائلة: «ليت دانتي يظهر لي هذا الوفاء!».

- إنه يغار عليك بجنون. ولا تنسي أنه رآك في حالة مزرية، مثيرة للارتياب. والأسوأ من ذلك كله، هو أنه سمعك ترددين اسم أخيه في نومك. كيف تريدين إيطالياً حاد الطبع مثله ألا يشك فيك؟ لكنني واثقة من أنه يحاول جاهداً أن يتقبل الأمر. وأؤكد لك أن الأمور ستسير في نهاية المطاف، على خير ما يرام، فهو يحبك بجنون.

- لا أريد العيش في الأوهام.

- كلا. إنه يحبك فعلاً... صدقيني. فعيناه لا تفارقانك لحظة واحدة.. لا شك أنه يتمنى من كل قلبه أن يصدقك، ولكنه لا يقوى على طرد ذلك المشهد من رأسه.

اضطربت ميراندا اضطراباً شديداً، وقالت:

- ولا أنا أيضاً! ولا أعرف ما العمل!

أجابتها ليزي بجدة: «عليك إطلاعه على السبب الحقيقي وراء همسك باسم غيدو في نومك!».

- لا أقوى على ذلك، فهو يعبد أخاه!

- هل أنت مجنونة؟

هزتها ليزي بنفاد صبر قائلة:

- إنه شخص حقير... فبعد ما فعله بك حاول أن يتودد إليّ. كيف يجرؤ على ذلك؟ لا يستحق هذا الوقح صمتك... فمنذ سنوات طويلة وأنت تلازمين الصمت... آن الوقت لتتكلمي من دون خوف أو تردد.

- ليس الآن.

قالت ميراندا ذلك شاحبة الوجه، وتابعت: «فكلانا منفعل وغاضب. ربما بعد رحيل غيدو..».

وماتت الكلمات على شفتيها. لم تكن تتحمل أن يظن دانتي بها سوءً. عانقتها ليزي مواساة: «لا تدعي شجاعتك تخونك، فأنت تحبينه كثيراً

www.liilas.com/vb3

ولا يمكنك الاستسلام!».

سألتها ميراندا منتحبة: «ماذا لو تبين أنني حامل؟».

أعلنت ليزي بجزم: «سأذهب في الحال لاشتري لك الاختبار. عليَّ إحضار بعض الأدوية من الصيدلية، فأنا مصابة بالتهاب في الأذن وعليَّ أن أتناول أدوية مضادة للالتهابات».

قطبت جبينها مضيفة: «يقول غيدو إنه سيعود إلى لندن بعد انتهاء الحفل، ويمكنك بعدها أن تسوي أمورك مع زوجك!».

فاجأها موقف ليزي المساند لها، فافتر ثغرها عن ابتسامة واهية، ومسحت دموعها عن خديها قائلة: «شكراً لك. كلامك ساعدني على استعادة رباطة جأشي».

عانقتها أختها مجدداً قائلة: «أشكرك على تضحياتك كلها. إنني أدين لك بطفولتي الهانئة، وحياتي الخالية من الهموم، وسأساعدك على تخطي هذه الأزمة بسلام».

تعانقت الأختان وقد ازدادت علاقتهما قوة وصلابة.

قالت ميراندا وعلى ثغرها ابتسامة حزينة: «سأنزل لأكمل ترتيبات الحفل».

- حسناً، حاولي ألا تفكري في الموضوع.

على الرغم من اضطرابها الشديد، استطاعت ميراندا أن تتعاون مع دانتي لحل بعض العراقيل المرتبطة بمائدة الطعام، وشغلت نفسها لبعض الوقت باللعب مع كارلو. مع حلول موعد نومه، أحست بالارهاق الشديد. لكن عليها أن تشد عزيمتها وترتدي ملابسها، إذ تنتظرها ليلة طويلة من الأحاديث الودية المتكلفة.

اختارت للمناسبة فستاناً أزرق يبرز نحافة خصرها ورشاقة جسمها. وضعت القليل من مساحيق التجميل على وجهها، ورفعت شعرها إلى أعلى رأسها، محاولة أن تبدو أنيقة وملفتة للنظر في آن معاً. أخيراً، انتعلت صندالها ذي الكعبين العاليين، وتوجهت نحو غرفة دانتي وجسمها يرتجف من شدة

التوتر والرجاء..

عليه أن يقع في حبها من جديد.. فإن نظر في عينيها سيقرأ اسمه محفوراً فيهما، وإن كان يتمتع بذرة من الاحساس سيشعر باللهفة المنبعثة من كل جزء من جسمها. وجدته واقفاً قرب النافذة مرتدياً بذلته الرسمية السوداء، التي حاكتها أنامل خياط ماهر خصيصاً له.

أمعنت ميراندا النظر فيه لبضع ثوانٍ قبل أن تقول له بفتور: «ما رأيك؟».

التفت دانتي ببطء ليواجهها. لم يخف عليها تصلب فكه وتسارع النبض عند أسفل عنقه، لكنها لم تقرأ على وجهه أي علامة تدل على استحسانه لمظهرها.

- ممتاز!

قال ذلك باقتضاب وكأنها سلعة معروضة في واجهة متجر ما..

- لكن انزعي تلك السلسلة الفضية!

نزعت السلسلة وهي تشعر بالحيرة. وسرعان ما رأته يفتح خزنة ويخرج منها علبة، حملها إليها وفتحها أمامها. شهقت ميراندا: «دانتي».

كانت هذه المجوهرات لجدتي، أريدك أن تزيني أذنيك وعنقك بها.

أخذت ميراندا القرطين الماسيين المصنوعين على شكل وردة، وعلقتهما في أذنيها. بدا لها العقد سريع العطب بوروده الصغيرة المتشابكة.

- إنه رائع الجمال!

لم يحرك دانتي ساكناً، بل راح يتأملها وهي تحاول تثبيت العقد حول عنقها. وبعد لحظات عيل صبره، فاستدار حولها ووقف خلفها ليثبته لها. كانت أصابعه باردة وبشرتها ملتهبة، فأحست بشحنات كهربائية تسري في جسمها جراء لمساته.

تقطعت أنفاسها ونظرت إلى صورتهما المنعكسة في المرآة القديمة، المزخرفة بصورة ملائكة صغيرة ذهبية اللون.. شعرت بالعذاب يفتت قلبها بسبب حبها للرجل الواقف على مسافة قريبة منها..

نادته باسمه هامسة: «دانتي!».

www.liilas.com/vb3 emma

- حان الوقت لننزل!

وابتعد عنها مضيفاً: «ميراندا..».

- نعم؟

تمنت في سرها لو أنه يناديها حبيبتي، إلا أنه لم يفعل، بل قال لها بصوت أجش: «علينا أن نتظاهر بالحب أمام الضيوف».

هزت برأسها وقد خاب أملها، فيما تابع دانتي يقول: «لكن إياك أن تتوهمي بأنني أعني ما أفعله أو أتفوه به».

تحملت كلامه القاسي برباطة جأش، وأخفت ترنحها بسبب تأثير كلماته القوي عليها وأجابته بوقار: «يؤسفني أنك لا تثق بي».

- كيف لي أن أثق بك بعد ما رأيته وسمعته؟

أكدت ميراندا لنفسها أن الغلبة في نهاية الأمر هي للنية الحسنة، فردت عليه باعتداد كبير في النفس: «هلا نزلنا؟».

- ألا يعني لك ذلك شيئاً؟ زواجنا تزعزع، وسعادة ابنتا على المحك. لقد حكمت عليّ بأن أعيش مع امرأة منافقة.

حاولت ميراندا السيطرة على ارتعاش يديها، فالألم جعلها تشعر بالوهن.

- سيصل الضيوف في أي لحظة، وعلينا أن ننزل لاستقبالهم.

لم يكن الوقت ملائماً لتدافع عن نفسها... فعلى الرغم من الغصّة التي تملأ صدرها، لم تشأ أن تخذله وتظهر أمام أصدقائه في مظهر المرأة المجروحة القلب.

- طبعاً!

مد لها ذراعه بفظاظة فدست ذراعها تحتها، وأراحت أصابعها على القماش الناعم لبذلته، وهي تهمس له: «أحبك!».

رماها بنظرة عجلى، ونيران الغضب الممزوج بالنفور تتأجج في عينيه السوداوين. أحست ميرندا بوجعه وتمنت لو أنها تستطيع التخفيف عنه، فتابعت كلامها قائلة بنبرة رقيقة: «ستدرك يوماً أنني لا أتفوه إلا بالحق.

وأرجو أن يحصل ذلك في القريب العاجل لأن قلبي يتهشم».

ترقرقت الدموع من عينيها، فأشاحت بنظرها بعيداً، مصممة على استعادة رباطة جأشها.

- هيا بنا!

نزلا إلى الطابق السفلي على وقع الموسيقى المتصاعدة من قاعة الرقص، وميراندا تتساءل بصمت من أين ستستمد القوة اللازمة لتتحمل الساعات الخمس أو الست التالية.

www.liilas.com/vb3

١٢ - نار الحقيقة محرقة

ساهمت حسن معاملة الضيوف لها في رفع معنوياتها. فالإطراء الذي أغدِقَ عليها جعلها تشعر بالنشوة، والطيبة التي أظهرت لها أثرت في نفسها. فوجدت ميرندا نفسها تستمتع بوقتها.. إلى أن حان موعد الرقصة الأولى.

كانت تتحدث مع فيليب وعدد من أصدقاء دانتي في العمل، حين رأته يجتاز قاعة الرقص ونظراته مسلطة عليها. نظرات ثاقبة جعلت القشعريرة تسري في جسمها.

أحست بقوة لا تقاوم تدفعها نحوه. مد دانتي يده لها قائلاً بصوت أجش: «أرجو المعذرة أيها السادة. سأخطف زوجتي منكم.. علينا أن نفتتح الرقص!».

مدت يدها لتمسك بيده وأصابعها ترتجف. فأطبقت أصابعه عليها بقوة، وأخذها بين ذراعيه، وراح يدور فيها في أرجاء القاعة على أنغام الموسيقى الساحرة.

- علينا أن نتبادل الكلام.

شعرت أن الغضب يتطاير من عينيه كألسنة النيران وكأنه يفضل لو أنه في أي مكان آخر، إلا هنا، وبين ذراعيها. ابتلعت ميرندا ريقها وتفوهت بأول شيء طرأ على رأسها: «أحب الرقص معك!».

زاد هذا الاعتراف من وهنها، فغرقت في أحضانه ملقية برأسها على كتفه. أحست بدفء يده العابثة على ظهرها، يتسلل إلى أعماقها. فسلمت أمرها له وأصابعها تضغط بقوة على قلبه الخافق بسرعة! شعرت بارتعاش جسده، فأخذت نفساً عميقاً مشبعاً باللهفة.

- نعم، لا أقوى على اخفاء لهفتي إليكِ. إنني ألعن اليوم الذي ولدتِ به، فأنتِ تبدين هذا المساء غاية في الجمال. حتى إن الرجال يكادون يلتهمونك بعيونهم... إنك الشيطان نفسه.. ملكة الجليد النموذجية التي تتحدى قدرة الرجل على إذابة تلك الطبقة من التحفظ الخدّاع، مطلقاً العنان للعواطف المحمومة الكامنة تحتها.

إنها المرة الثانية التي يتفوه فيها بكلمات لاذعة تجعلها تشعر وكأنها مجرد سلعة يملكها وليست امرأة ذات مشاعر وأحاسيس.

قالت له معترضة: «لا أريد مجرد التظاهر بالحب أمام الناس فحسب!».

- عليك الاكتفاء به. لن تحصلي مني على أي شيء آخر.

حك أذنها بأنفه، فتأوهت راضية. إلا أنه قال: «أتعلمين أنك حكمت عليَّ بالموت البطيء؟».

جاء صوته أجش مثيراً ثم أضاف: «كلما لمستك ونادراً ما أقوى على منع نفسي من ذلك، تخيلت رجلاً آخر، ومكاناً آخر.. أراه يضمك بين ذراعيه.. يعانقك.. وأسمعك تطلقين صرخات الفرح..».

- دانتي.. إنني آسفة!

وإذا به يسرع بدفن رأسه في عنقها، متمتماً بكلمات إيطالية حزينة.

لفح الهواء البارد ظهرها، فنظرت من حولها لتجد أنهما خرجا إلى الشرفة، وفجأة، تصلب جسم دانتي بين ذراعيها، فخطر لها للوهلة الأولى أنه تأثير الهواء المنعش. لاحقت نظراته الثاقبة، فأدركت أنها مسلطة على غيدو في الحديقة.

رفعت ميراندا يدها إلى فمها.. كانت ليزي تتخبط بين ذراعيه تحاول أن تتفادى عناقه الخشن. وفجأة، تمكنت من إطلاق سراح يدها وصفعته صفعة مدوية، سمرتهما مكانهما.

حررها غيدو من عناقه، فوجهت له كلاماً قاسياً، عنيفاً، وأسرعت تصعد الدرج المؤدي إلى الشرفة.

هرعت ميراندا نحو أختها قلقة: «حبيبتي.. هل أنت بخير؟».

www.liilas.com/vb3

أومأت ليزي برأسها . . أما غيدو فحملق بهما وعيناه مفعمتان بالحقد، ثم اندفع بغضب إلى داخل المنزل.

أعلنت ليزي بصوت عالٍ: «أشعر بالارتياح لأنني صفعته!».

ورفعت رأسها لتواجه دانتي المتجهم الوجه، قائلة: «إياك أن تقول إني أغويته. أرى أنك تميل إلى القاء اللوم عليّ. . أظن أن الوقت حان لتسأل الناس عن رأيهم في أخيك».

قاطعتها ميراندا بعصبية: «أرجوك يا ليزي. .».

- كلا! عليّ أن أتكلم. اسأل العاملات في المكتب، واسأل العاملين أيضاً. . إنه إنسان متملق منافق. كف عن حماية أخيك الصغير وافتح عينيك للحقيقة. اسأل نفسك من يستحق ثقتك، زوجتك أم أخوك، اصغِ إلى حدسك أيها المغفل!

صعق دانتي وكأن أحدهم وجه صفعة له أيضاً. . شعر بالذعر لرؤية غيدو يسيء التصرف مع ليزي، وتذكر في تلك اللحظة الاتهامات العديدة التي اطلقتها نساء واعدهن غيدو ضده.

على الرغم من أنه استبعد في الماضي هذه الفكرة السخيفة، تساءل دانتي للمرة الأولى، ما إذا كان غيدو هو من دسّ المخدر لزوجته في تلك الليلة.. كان الذعر والاحساس بالذنب باديين على وجهه.

صر على أسنانه وضغط بيده على جبينه، آبياً أن يسمح لتلك الفكرة بأن تمتد إلى أبعد من ذلك. لكن صورتها وهي تتلوى بين ذراعي غيدو ظلت تطارده. إنه التفسير الوحيد للتوتر الذي يستولي عليها كلما وقعت عيناها عليه.

أحس بأحشائه تتمزق إرباً إرباً، ولم يعد قادراً على تحمل الألم.

لطالما أفصحت له ميرندا عن حبها، لكن غيدو أصر على أنها مغرمة بلقبه وثروته. . عادت الشكوك تراوده. . هل خيل إليه أنه قرأ تعابير الحب في عينيها، أم تراه يحاول خداع نفسه؟ فالمرأة الذكية تستطيع أن تقود الرجل على هواها.

لا يمكنه أن يلومها. كانت حياتها سلسلة من الشقاء والبؤس، ومن البديهي أن تبحث عن رجل ثري يرعاها ويؤمن لها حياة رغيدة. لعل إهماله لها أثناء مرض عمه أساء إلى علاقتهما.

خلال تلك الفترة، ازداد تحفظها وانطواؤها على ذاتها . . وقد وجد غيدو أسوأ تفسير لسلوكها هذا. إنها تواعد رجالاً آخرين خلال غيابه، ويبدو أن غيدو أحد هؤلاء.

ضم دانتي قبضتيه بشدة. . كانت أعصابه يومها مشدودة للغاية وعمه الحبيب يحتضر أمام عينيه، فلم يقوَ على مواجهتها بخيانتها، وفضل أن يلزم الصمت ويعاملها ببرودة، ربما كان أخوه يمهد الطريق ليخبره بأن «الرجل الآخر» الذي وقعت في هواه هو غيدو نفسه. .

- دانتي!

حدقت ليزي به وأمسكت بذراعه تهزها قائلة: «ما بك؟ عليك أن تفتح عينيك لترى نفاق أخيك. لن أقف مكتوفة اليدين وأدع إنساناً حسوداً مثله يفسد حياة ميراندا. لقد ضحت بطفولتها من أجلي. .».

واخذت نفساً عميقاً ثم تابعت تقول بحماسة: «إنها إنسانة نبيلة ومحبة، وتستحق منك معاملة أفضل منك. علمتها الظروف القاسية التي مرت بها أن تخفي مشاعرها، وبذلت قصارى جهدي لأجعلها تثق بي وتفضي إليّ بمكنونات قلبها، وها أنت ترغمها على الانطواء على ذاتها من جديد، لأنها تخشى أن تواجه حبها لك بالصد. .».

رمش دانتي بعينيه وقد فاجأته ثورة ليزي. إنها فتاة مخلصة وإخلاصها يثير إعجابه. إلا أنه لم يتمكن من محو صورة ميراندا وعشيقها من رأسه. . صورة ظلت تطارده حيثما ذهب وتقض عليه مضجعه.

نظر في عيني ليزي المتلألئتين، محاولاً أن يجد مخرجاً لهذا المأزق، سألها والارتياب بادٍ على وجهه: «هل أنت واثقة مما تقولين؟».

أرسلت ليزي تنهيدة حزينة وقالت: «بالطبع!».

أدار عينيه نحو ميراندا، حابساً أنفاسه أمام جمالها الأخاذ.

www.liilas.com/vb3

عليه أن يسوي المسألة في الحال ويواجه أخاه، فيسمع منه رواية مفصلة لما حصل تلك الليلة، وبعدها . .

صرّ دانتي على أسنانه . . وبعدها يأتي دور ميراندا لتشرح له لما كانت تردد اسم أخيه في نومها . .

استدار على عقبيه من دون أن يتفوه بكلمة وذهب يبحث عنه. أحست ميراندا بالألم يعتصر فؤادها وهي تراه يدخل إلى المنزل، وقالت لأختها: «أشكرك على مساندتك لي، لكنه لن يصغي إلى صوت الحقيقة. ولا أعرف ما العمل».

ربتت ليزي على كتفها: «لا تقلقي . . سيعود قريباً إلى رشده. أشعر بالخجل لأنني عبّرت أمامه عن ارتياحي لصفعي غيدو لكن تلك الصفعة روت غليلي للانتقام منه على ما فعله بك . . بالمناسبة، جلبت لك الاختبار».

ونظرت من حولها لتتأكد من أن أحد لا يراهما، ثم دسته في حقيبتها. أحست ميراندا بغصة في حلقها وصرخت مذعورة: «لا . . لا استطيع القيام به!».

– بلى. وسآتي معك. هل من طريق مختصرة إلى غرفتك؟

اومأت ميراندا برأسها، وقد انعقد لسانها عن الكلام من شدة التوتر. قادت أختها إلى الجهة الخلفية للمنزل وصعدا معاً درج الخدم.

– هيا أيتها الجبانة، افعلي ذلك لتنعمي براحة البال!

عانقتها ليزي وجرتها إلى الحمام، ثم اقفلت الباب خلفها.

قرأت ميراندا الارشادات قبل البدء بالاختبار، ثم جلست تنتظر النتيجة إلى ما لا نهاية . .

كل شيء يتوقف على هذه النتيجة . . . مستقبلها مع دانتي وكارلو . . . سعادتها . . سعادة ابنها . .

لم تجد الشجاعة لتنظر إليه، وأبقت عينيها مغمضتين وهي تتضرع إلى الله في سرها أن يكون سلبياً، فتستطيع عندها أن ترمم مشاعر الحب التي تصدعت.

رمت الاختبار بنظرة عجلى، فاتسعت عيناها ذعراً؛ إنه إيجابي!

ظهرت إمارات التعاطف في عيني ليزي وهي تسألها: «ما الذي ستفعلينه؟».

– تماماً كما أفعل دوماً . . . سأتدبر أمري.

* * *

بحث دانتي في كل مكان، إلا أنه لم يجد لأخيه أثراً. أهمل ضيوفه لأكثر من نصف ساعة، لكن من دون جدوى.

عليه أن يرجىء كشف الأوراق إلى وقت لاحق، فالمواجهة ستحصل لا محالة!

عاد إلى ضيوفه ومشاعر الاحباط والتوتر تتضارب في داخله، لكنه نجح في مشاطرتهم المزاح والأحاديث المتنوعة وكأن شيئاً لم يكن . .

سمع صوتاً يهمس قربه: «أريد أن اهنئك يا دانتي. زوجتك رائعة الجمال، والناس لا يكفون عن الحديث عنها في بيلاغيو!».

أجاب بوقار من دون أن يلتفت إلى صاحب الصوت: «أشاطرك الرأي تماماً».

لاحق إيماءة يد محدثه، ورأى ميراندا تنزل الدرج، فتسارع خفقان قلبه كالعادة. لمح ليزي تلحق بها بثوبها البرتقالي الأنيق، إلا أنه لم يعرها اهتماماً. وحدها ميراندا أسرت قلبه، وهي تدخل إلى القاعدة كأميرة متوّجة.

فيها شيئاً غير مألوف، وكأنها تنتمي إلى عالم خاص بها . . عالم ناءٍ، بعيد، أنواره خافتة . .

وقفت ميراندا وسط ضيوفها كالمنارة الساطعة. نحيلة، حسنة القوام، مثيرة إلى حد لا يوصف . . إنه يحبها ويحب كل ما فيها!

وجه أحدهم الكلام لها، وهو شاب يافع، معجب بها على ما يبدو . . . فلاحظ أنها بادلته المجاملة وهي تحافظ على فتنتها، من دون أن تترك إطراءه يؤثر فيها. جاهد دانتي على نفسه، كي لا يصبح مهووساً بها . . راح يتبادل أطراف الحديث مع مجموعة من الأصدقاء الذين تجمهروا حوله وراحوا

www.liilas.com/vb3

يغيظونه بالكلام عن نظراته التي لا تكف عن ملاحقة ميراندا حيثما ذهبت.

سمع نفسه يقول بحرارة: «أجل! فأنا أعتبر نفسي محظوظاً، وأحبها من كل قلبي».

أدرك في تلك اللحظة أن ما يقوله صحيح فتسمر مكانه فاغر الفم. وسمع أحدهم يقول له بصوت خافت: «كلما غبت عن عينيها، راحت تبحث عنك!».

التفت دانتي نحوها لتلتقي عيناه بعينيها الحائرتين.

أحسّ بالحياة تدب في جسده طاردة الألم منه. حاول أن يرميها بابتسامة، فارتعشت ورفعت يدها إلى فمها، وعيناها الجميلتان لا تفارقان عينيه وكأنهما حقلين مغنطيسيين في حالة من التجاذب.

عبق الجو في القاعة بالحب، فامتلأ رأسه بأحاسيس عجيبة، ولم يعد يأبه لما حصل. إنه يحبها بكل جوارحه، وعليه أن يتغلب على العوائق، مهما كانت صعبة. أضاءت البهجة وجهه وهو يقول لضيوفه بصوت أجش: «أرجو منكم المعذرة... سأذهب لأقول لها ذلك في الحال!».

وعلى الفور، سمع شهقات النساء وتنحنح الرجال، فابتسم دانتي في سره وشق طريقه عبر حلبة الرقص بحثاً عن زوجته..

خيل إليه أنها كانت تنتظره وفي عينيها تتلألأ دموع الفرح.

اعترض صديق قديم للعائلة طريقه، فلمح غيدو يجول بنظره في القاعة كأنه يبحث عن شخص ما. تنازعته الرغبة بمواجهة أخيه بحقيقة ما حصل والرغبة بالافصاح عن مشاعره لميراندا.

نظر إليها بطرف عينيه فوجدها محاطة بمجموعة من الأصدقاء حجبوا وجهها عنه.

سيتحدث أولاً مع غيدو، فحديثهما مهم للغاية ولن يتطلب وقتاً طويلاً. أمامه العمر كله ليفصح لميراندا عن حبه.. سوف يلحق بها إلى الحديقة. ويغرقها في عناق حار، ثم يرجوها أن تسامحه.

تخلص من صديق العائلة بلباقة، وتوجه نحو أخيه الذي كان يقف بالقرب

من أحد الأعمدة الضخمة، وكأنه يختبيء من شيء ما. قطب دانتي جبينه، ثم تسمر في مكانه وهو يراه يخرج شيئاً من جيبه ويفرغ محتوياته في كأس عصير وضع على طاولة صغيرة.

مدت امرأة يدها وتناولت كوب العصير.. على الرغم من أن العمود حجب عنه وجهها، إلا أنه رأى فستانها البرتقالي المتألق. أخذ دانتي نفساً عميقاً وأدرك أن غيدو دس المخدر في شراب ليزي. استولى الذعر عليه وقد بدأت الأمور تتوضح أمام عينيه..

لم يشأ دانتي مواجهة الواقع من قبل، لكن الدليل واضح وصريح أمام عينيه. مشى نحو ليزي وهو في حالة من الارتباك الشديد.. ورأى الكوب الفارغ على الطاولة. أراد أن يصرخ من شدة اليأس، لكنه كبح جماح نفسه! من العار أن يفضح أمر أخيه أمام الناس.. راحت الأفكار تضج في رأسه.. أفكار لا تحصى تطالب بأن يتفوه بها. راحت الحقائق تنجلي، الواحدة تلو الأخرى، في ذهنه، فيما كان يحاول أن يصل إلى ليزي!

- دانتي! تبدو في حالة مزرية، ما الأمر؟

أدار رأسه لدى سماعه صوت زوجته الرقيق، وأجابها: «إنها ليزي.. إنها في ورطة».

لاحقت ميراندا نظرات زوجها، فوجدت أختها تتمايل بين ذراعي غيدو.

- لا أفهم.. ما الذي أصابها؟

قالت ذلك صارخة، فيما راح دانتي يشق طريقه بصعوبة بين المدعوين.

- إنها مخدرة!

استشاط غيظاً وهو يلمح غيدو يلف ذراع ليزي حول عنقه ليقودها خارج القاعة.

شحب وجه ميراندا وسألته: «دانتي! هل..؟».

- أخشى ذلك!

بدت نبرة صوته مرتعشة ووجهه ممتقع من هول ما يحصل. أمسك بيد

زوجته وراحا يركضان سويا وقد تخلصا من الضيوف المنتشرين في أرجاء المكتب وبسرعة أخرج هاتفه الخلوي من جيبه واتصل بسيارة الاسعاف.
صرخت ميراندا بأعلى صوتها: ((غيدو!))
أدار غيدو رأسه مذهولا وهو يراهما يلحقان به في الرواق.
-لا بأس سأهتم بها إنها مصابه بالدوار سآخذها إلى غرفتها عودا إلى ضيوفكما هل أنت موافقة يا ليزي؟
رفعت ليزي وجهها المتوهج وأجابت متمتمة: ((موافقة!))
ابتلع دانتي ريقه بصعوبة لم يعد قادرا على الاحتمال... ها هو أخوه يكذب بوقاحة! أحس كأن يدا فولاذية سحقت صدره وحولت أمله بغيدو وحبه له وتفانيه من أجله إلى حفنة من تراب!
-توقف على الفور!وكفاك نفاقا أرسلت بطلب سيارة الاسعاف.. سننقلها الآن إلى غرفة المكتبة.
علت امارات القلق الشديد وجه غيدو لكن القوة الفائقة المنبعثة من دانتي والسخط المتأجج في داخله حثاه على الاذعان لأوامره مع ذلك قام بمحاولة أخيرة فقال مصرا على موقفه: ((لِم طلبت سيارة الاسعاف؟ الآن سيكثر القيل والقال دعني أهتم بها))
كان دانتي على حافة الانفجار لكنه لزم الصمت ريثما مدد غيدو ليزي على الأريكة اندفع بعدها نحو أخيه ودس يده في جيب سترته قبل أن يعي غيدو ما يدور حوله وأخرج من مغلفا.
لم يكد ينتهي من قراءة ما دون عليه حتى علقت أنفاسه في حلقه رفع عينيه إلى أخيه وراح يحملق به بغضب قائلا: ((أيها المنحرف الخسيس دسست لها المخدر في الشراب لتتمكن من النيل منها))
تراجع غيدو إلى الخلف مصرا على النكران فانقض دانتي عليه متوعدا.
أحست ميراندا بالغرفة تدور من حولها فترنحت قليلا لكنها عادت وتمالكت نفسها وركعت قرب أختها تجس نبضها بقلق سألها دانتي بحده:
((هل أنت بخير؟ هل تستطيعين لاعتناء بليزي؟ علي أن أعالج مسألة مهمة))

-إنني بخير ويمكنني الاهتمام بها.
قالت له ذلك متجاهلة الأفكار المشوشة المتدافعة في رأسها هذا ما حصل لها بالضبط. صرت على أسنانها مرغمة نفسها على الحفاظ على رباطة جأشها من أجل ليزي.
-اهتم بأمر غيدو وخذه بعيدا من هنا!
شرع دانتي يطرح على أخيه أسئلة سريعة لاذعة فيما انهمكت ميراندا بالتخفيف عن أختها.
نظرت بطرف عينها إليه فتنبهت إلى شحوب وجهه واشتعال عينيه الغاضبتين وتوتر فمه الذي تحول إلى خط رفيع وهو يصغي إلى أجوبة غيدو لم تفهم شيئا مما كانا يقولانه بالإيطالية فارتأت أن تركز اهتمامها كله على اختها وبعد قليل سمعت دانتي يزمجر قائلا: ((إنك تشكل خطرا على النساء))
احتج غيدو ساخطا: ((كانت مجرد غلطة))
-ماذا عن النساء اللواتي أسأت معاملتهن على مر السنين؟ أتسعى للانتقام من كل امرأة صدتك؟ لن أدعك تستمر على هذا المنوال ألديك أدنى فكرة عما فعلته؟ ألديك أدنى فكرة عن العذاب الذي سببته لنا؟ دمرت حياتي وحياة ميراندا وحياة كارلو... أفسدت زواجنا...أنت...أخي..من لحمي ودمي..لكنني لنأتهرب مما يمليه علي ضميري...تعال معي تجاوزت الحدود هذه المره وعليك أن تدفع الثمن.
وأمسك بذراع غيدو خلف ظهره وأخرجه من الغرفة متجاهلا توسلاته.
داعبت ميراندا وجه ليزي الشاحب بأناملها وراحت تهمس لها كلمات مطمئنة.
اجتاحتها موجه من البرد الشديد وهي تستعيد في رأسها رباطة جأش دانتي وهو يعلن صراحة أن زواجهما تصدع قاومت دموعها وحاولت ألا تفكر إلا بوضع ليزي الحرج.
لم تكد تمضي بضع دقائق حتى فتح الباب فوثبت من مكانها لدى سماعها وقع خطوات دانتي الثقيلة على الأرض.

- أين غيدو؟

- مع لوكا والبستاني. اتصلت بالشرطة، وسوف أدخله السجن.

جحظت عينا ميراندا.

- دانتي!

هز رأسه متململاً وكأنه يأبى أن يواجه ما فعله، وسألها: «كيف حالها؟».

امتلأ قلبها شفقة عليه، لكنها فضلت أن تمنحه القليل من الوقت لينسى الخزي الذي سببه له سلوك أخيه.

- تحسن نبضها. لن أشعر بالارتياح إلا عند وصول سيارة الإسعاف.

وتوجهت إلى أختها قائلة: «لا عليك يا حبيبتي، أنا هنا!».

- لا يمكنها سماعك. ألا ترين أنها فاقدة للوعي.

عاد الكابوس المريع يمر في ذهنها.. وتذكرت ما حل بها.. فرفعت رأسها لتواجهه قائلة: «إنك مخطىء! يمكنها سماع كل كلمة أتفوه بها. إني واثقة من ذلك!».

- نعم... بشأن غيدو..

وتقطع صوته وهو يتابع: «اعترف بأنه دس المخدر في شرابك أيضاً. أعلم أن لا علاقة لك بكل ما حصل».

اغرورقت عيناها بالدموع. الآن عرف دانتي أنها لم تغوِ أخاه، لكن شيئاً لن يتغير بينهما.

فلا شيء سيبدل ما حصل في ذلك اليوم.

استولى البؤس عليها، غير أنها ما لبثت أن هزت كتفيها لا مبالاة وكأنها لم تعد تكترث لشيء أبداً.

- ميراندا...

رفعت يدها تمنعه من الكلام. لم تكن قادرة على مواجهة مشكلتين في آن معاً.

- ليس الآن. علي الاعتناء بأختي أولاً.

ثم توجهت بالكلام إلى ليزي وصوتها مفعم بالعطف: «لا تقلقي. إنه مجرد ألم في الرأس أو إحساس بالغثيان، لكنك لن تحتفظي بذكريات سيئة لأنك في أمان. نامي قريرة العين يا حبيبتي، فأنا إلى جانبك».

عادا إلى المنزل، بعد أن اطمأنا إلى صحة ليزي، ووجدت ميراندا من السخافة أن يجدا الحفلة في أوجها.

- لا! لا استطيع مواجهة أحد!

- لست مضطرة لذلك!

أجابها بذلك بحدة وقد تصلبت قسمات وجهه. خلال الساعتين الماضيتين، لم يتبادل دانتي وميراندا الكلام إلا لماماً. صعدا السلم بصمت كأنهما شخصان غريبان التقيا لتوهما.

إنها ليلتها الأخيرة في الفيلا. ربما يسمح لها دانتي بالعيش في الجوار، لتبقى قريبة من كارلو.

- إنني.. آسف..

قال لها ذلك بخشونة وهو يفتح باب الغرفة لها. دخلت الغرفة من دون أن تنبس ببنت شفة وقد عقد الانفعال الشديد لسانها عن الكلام.

سمعت حركة خلفها فاستدارت بسرعة ووجدته واقفاً في وسط الغرفة، وكتفاه متيبسان.

- إنني أقدر تماماً ما تشعر به!

لم يخفَ عنها الألم الذي سببته خيانة أخيه له، لا سيّما أنه يعتز كثيراً بشرف العائلة وسمعتها. ولم يكن من السهل عليه أيضاً أن يتقبل فكرة تحرش أخيه بزوجته.

- لا أظنك تفعلين! لن أسامح نفسي أبداً!

- نفسك؟

وقطبت جبينها حائرة.

- إنني المسؤول عما حصل.

وعلت الكآبة قسمات وجهه، وهو يضيف: «تغاضيت عن سلوك غيدو

www.liilas.com/vb3

المريب وصدقت كلامه وكذبت كلام الآخرين بمن فيهم أنت، زوجتي لن أسامح نفسي أبدا على ما فعلناه أنا وهو بك!))

كان صوته يرتعش وتمنت ميراندا لو تضمه إليها وتخفف عنه لكنه بدا شديد التحفظ وكأنه يهيئ لانفصالهما بشكل نهائي أخذ دانتي نفسا عميقا وقد اشتد سواد عينيه ثم قال: ((لا شك أنك تكرهين اسم سافيريني))

-هل أخبرك غيدو كل شيء؟

أجابها بصوت يكاد ألا يكون مسموعا: ((كل شيء!))

لكنه يجهل ما خبأه القدر من مفاجآت مريعة ويجهل أن زوجته حامل.

تأوهت ميراندا من شدة الأسى.. ما الذي يدور في خلده؟ أحست برجفة تهز كيانها وقد استولت عليها رهبة الشهور الطويلة التي ستحمل فيها هذا الطفل أتراها ستحبه؟ أتراها ستجد له مكانا في قلبها؟

وضعت يديها على وجهها تفكر بالسنوات التي ستناضل خلالها بحثا عن ذرة حب لطفل غير مرغوب فيه...

-لم أعد أفهم شيئا.. لِمَ ليزي؟ لِمَ أنا؟

تجهم وجهه فارتعدت فرائصها خوفا منه.

-ليزي صدته فخطر له أن ينتقم منها.

-لكن انتقامه تخطى حدود المنطق.

-مشاعره كلها تخطت حدود المنطق كانت أختك محقة منذ صغره وهو يغار مني بشدة ولا يكن لي إلا الكراهية وما فعله بك لا علاقة له بشخصك فالهدم منه الانتقام مني!

لا علاقة له بشخصها؟ وهل من تصرف أكثر إذلالا لشخصها؟ عدلت ميراندا مرغمة عن التفوه بما يجول في رأسها فما الفائدة من ذلك؟

-فهمت!

ارتجف دانتي سخطا فأرادت أن تلامس وجهه المتشنج وتخفف من عذابه لكن حملها زاد الهوة بينهما عمقا. عليها أن تعيد نصب السدود،

وتطرد حبه من قلبها إلى غير رجعة.
-اعترف غيدو بأنه سعى إلى تدمير زواجنا فراح يملأ رأسي بالأكاذيب حول خيانتك مدعيا أنك تطارينه.
عض على شفته محاولا أن يتمالك نفسه ثم أضاف: ((أعترف بأنه دس المخدر في شرابك ظنا منه أنني لا أزال في إيطاليا وأمامه متسع من الوقت لكي...))
-ينال مبتغاه مني!
اغمضت عينيها وقد اجتاحتها موجة من الغثيان وهي تتذكر يديه الكريهتين عليها رباه! ما الذي ستفعله؟
-كانت هذه خطته لكنها فشلت!
أخذ دانتي نفسا طويلا وأضاف: ((أظنك تعرفين ذلك!))
سألته مدمدمه وهي غارقه في بؤسها: ((ما الذي أعرفه؟))
-أن خطته فشلت لأن وصولي المبكر فاجأه.
اتسعت عيناها ذهولا وسألته: ((ما الذي قلته؟))
-لم ينفذ خطته إنني واثق من ذلك أعلم أنه منافق لكنه أخبرني الحقيقة الكاملة.
ثم لوى فمه و أضاف ساخرا: ((ربما لأنني هددته بالخنق وطلبت منه قول لحقيقة مهما كانت صعبة فلأخبرني أنه أصيب بالذعر وتراجع في اللحظة الأخيرة حين علم أنني على بعد دقائق من المنزل... إنني واثق من أنه قال الحقيقة لأنه لم يحاول أن يخفي مرارته لاخفاقه في تحقيق مراده... لم ينل ما يريده منك يا ميراندا!))
-لم أكن واثقة!
-فكري في الأمر حاولي أن تتذكري ما شعرت به يومها.
ساد الصمت الغرفة لم تشأ أن تعود بالذاكرة إلى الوراء إلا أنها فعلت ذللك على مضض.
-شعرت بغثيان وألم الرضوض....

www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
emma

- حاولي أن تتذكري كيف انتهى الكابوس!

بدت نبرة صوته غاية في الرقة!

- لا أستطيع بلوغ هذه النقطة.

- عليك أن تفعلي لننتهي من هذه المسألة.

أغمضت عينيها، وراحت تسترجع شريط تلك اللحظات في رأسها. ها هي ترى غيدو يهاجمها، إنه يحاول معانقتها. أجفلت من لمسته ففتحت عينيها. أطلقت تنهيدة ارتياح عميقة، وقالت: «الآن تذكرت كل شيء. حمل هاتفه الخلوي وتحدث مع أحدهم، وفجأة، ابتعد عني».

لم تستطع إخفاء الرعشة التي تملكتها وهي تقول: «يا إلهي! اعتقد أنه يقول الحقيقة!».

- إنني متأكد تماماً من ذلك!

يا لها من أخبار سارة! لمَ لم يأخذها بين ذراعيه؟

أغشت دموع التعاسة عَينيها... من المفترض أن تكون هذه اللحظة لحظة فرح. وعوضاً عن ذلك، أحست ميراندا بأنه ما زال منزعجاً منها: لقد أفسدت تلك الحادثة علاقتهما، وزعزعت أسس زواجهما، على الرغم من محاولتها ترميمها. عليها الآن أن ترضخ للواقع وتتقبل فكرة خسارته إلى الأبد.

١٣ - معاً، على دروب الحب

تداعت قواها الجسدية كلها أمام الهزيمة التي منيت بها. حاولت الحفاظ على عزة نفسها، فيما الكآبة تعشعش في داخلها.

جاش الغيظ والسخط في أعماقها، ولم تجد طائلة ترجى من التعبير عما تشعر به. فالعواطف لا تمت إلى المنطق بصلة، إما أن تحب الشخص أو لا تحبه. وحبه لها ليس قوياً بما فيه الكفاية، ليتغلب على امتعاضه مما حصل!

حضّنت ميراندا قلبها بسياج من حديد، وقررت أن توجه اهتمامها إلى الأمور العملية. فعليها مثلاً أن تساعد ليزي على العودة إلى انكلترا بعد تماثلها للشفاء. شحب وجهها فجأة، وفكرت أن عليها أن توضب أمتعتها وترحل هي أيضاً. ترقرقت الدموع من عينيها فأسرعت تكبحها.

- ميراندا.

ناداها بصوت أجش مفعم بالألم، وقال: «أشعر بالسوء بسبب ما حصل. وأدين لك ول ليزي بالاعتذار».

أشاح بنظره بعيداً وتابع يقول: «ألحقت عائلتي العار بكما. وبدلاً من تدليلكما والحفاظ عليكما، تعرضتما لأبشع أنواع سوء المعاملة تحت سقف منزلي. إنني المسؤول عما حصل، ولن أسامح نفسي أبداً. ستبقى هذه الذكريات محفورة في رأسي إلى الأبد. لا بد أنك احتقرتني لما سببته لك من عذاب.. كل ما يسعني أن أفعله هو الاعتذار منك مع أنني أعرف جيداً أن ذلك لا يكفي. لا يمكنني أن أعيد الأمور إلى نصابها، لكنني سأحرص على أن تلقي الاهتمام اللازم، وتحصلي على كل ما ترغبين به. ليتني أستطيع العودة بالزمن إلى الوراء، لأخنق بيدي هاتين كبريائي العنيدة وأفتح عيني

جيداً لأرى أخطاء أخي. . فات الأوان الآن، وستبقى تلك الحادثة عائقاً أمام علاقتنا، انتهى كل شيء، أشعر بذلك في قرارة نفسي. . . لست مغفلاً!».

حدقت ميراندا به بانشداه، وأحست ببراعم الأمل تتفتح في قلبها من جديد. لعلها أساءت قراءة الموقف، فهو مستاء جداً بسبب ما مرت به، ويضع اللوم كله على نفسه. ألهذا السبب يأبى أن يضمها إليه؟

- دانتي!

همست باسمه بلهفة فانتفض وكأن احدهم طعنه بسكين في قلبه.

عادت تناديه بنبرة مفعمة بالحب: «دانتي»!

- لا تتحدثي معي بهذه الطريقة!

قال ذلك من بين أسنانه، وأضاف: «فأنا لا استحق رقتك! أتدركين كم أنا غاضب من نفسي؟ أتدركين كم يفتت ذلك قلبي؟!».

- أجل. . أدرك ذلك تماماً.

شعرت بتوقه الشديد لضمها بين ذراعيه. . فقررت أن تستغل الفرصة. إنها فرصتها الأخيرة، ولم يعد لديها ما تخسره إلا كبرياءها. ويا له من ثمن زهيد مقابل الفوز بحبه!

وضعت يديها على صدره تداعبه بحنان، ولم يخفَ عليها صرير أسنانه وتفاديه العنيد لنظراتها. تراجع خطوة إلى الخلف وهو يحدق فيها مذعوراً.

- لا تلمسيني! لا أقوى على الاحتمال، اذهبي.

- دانتي!

ارتجفت يداه، وارتعشت شفتاه! نعم، أنها تفهم جيداً معنى رباطة الجأش. وتفهم تلك الإشارات التي تفضح المشاعر الكامنة تحتها: الأنفاس المتقطعة، والجسد المتيبس. .

شقت يداها طريقهما إلى صدره من جديد، تتحسس قلبه الهادر بعنف، والذي يكاد يقفز من بين ضلوعه.

- دانتي!

نادته بحب وحنان، فابتلع ريقه بجهد والانفعال بادٍ عليه. ابتلعت ريقها بدورها، وقالت: «غيدو هو من حاول الحاق الأذى بي ولم يفلح. الذنب ليس ذنبك، ولا يمكنك أن تتحمل اللوم بدلاً عنه».

- بلى، لأنني فشلت في مراقبة تصرفاته، ولم أحسن قراءة الإشارات التي كانت تؤكد على حاجته الماسة للارشاد.

صر على أسنانه ثم تابع يقول بحدة: «سأجعله يدفع الثمن. سأفضح أمره أمام الناس جميعاً لينبذوه. وبعد أن يمضي عقوبته في السجن، سأرغمه على الرحيل، من دون أن أدعه يغيب عن المراقبة ثانية. لن أسمح بأن تعاني أي امرأة ما عانيت أنت منه. لا أصدق أنني ابتليت بأخ لا يعرف المشاعر الإنسانية».

- صحيح أنه من لحمك ودمك، لكنه إنسان راشد.

تسللت أصابعها لتتمسك بكتفيه المتصلبتين وتابعت تسأله: «ما الذي تنوي فعله؟».

نظر إليها بعينين غارقتين في اليأس، وكأنه يرى المستقبل قاتماً كئيباً.

- لست أدري. . سأغرق نفسي في العمل. يمكنك الاحتفاظ بالمنزل، وسأمنحك حضانة كارلو شرط أن تسمحي لي بمشاهدته بين الحين والآخر.

خرجت الكلمات من فمه بصعوبة بالغة، فأحست بقلبها ينفطر حزناً عليه.

- لكنني لن أزعجك. سأشتري منزلاً لي في كومو. . ستكونين بخير، أعدك بذلك. ستحصلين على كل ما تتمنينه!

كان فؤاده محطماً، وسمعت ميراندا صوتاً في أعماقها يقول لها إن الأسى الذي يشعر به ليس سببه أخوه الذي سيدخل إلى السجن، أو منزله الذي سيفقده، أو ابنه الذي قد لا يراه أبداً، بل السبب هو خسارته لها. فعيناه تتمعنان في كل شبر فيها، لتحفظ صورتها في ذاكرته إلى الأبد.

- لكن أموالك لن تحقق لي رغباتي وأحلامي، وكذلك الأمر بالنسبة إليك.

www.liilas.com/vb3

- لا أستحق أن أحصل على ما أتمناه!

أكدت كلماته ظنونها، فاشتعلت اللهفة في عينيها، وقالت: «لكنك ضحية مثلي تماماً!».

شهق دانتي وأسرع يبتعد عنها، إلا أنها امسكت بيده تشده إليها.

- أرجوكِ، لقد خذلتكِ.. ولم اثق بكِ!

أجابته بوقار: «كانت لك دوافعك».

- ولم أحاول أن أمعن التفكير في الأمور.

ومرر يده في شعره مضيفاً: «فغبائي سبب لك الشقاء، وآن الوقت لأحترق بنيران جهنم».

- هذا مؤسف حقاً، لا سيما أنّ أبواب الجنة مشرعة أمامك!

والتصقت به تلتمس حنانه، فشدها دانتي إليه بقوة، وكأنه لم يعد قادراً على تمالك نفسه.

- أرجوك.. كفي عن تعذيبي.. لا تعرفين ما..

- بلى.. أعرف..

ووقفت على رؤوس أصابعها، لتعانقه عناقاً ملؤه اللهفة، ثم قالت له: «أحاول أن أقول لك شيئاً، لكن دون جدوى. فأذناك صُمّتا وعيناك عَميتا».

وهتفت مضيفة: «أحبك.. وأنت تحبني.. فأين المشكلة؟».

- محال!

نظر إليها واليأس مرتسم في عينيه، وأضاف: «ليس بعد كل ما حصل!».

- إنك رجل مخلص ومحب يا دانتي. أمضيت حياتك كلها ترعى أخاك وتهتم به، تماماً كما فعلت أنا مع ليزي.. أعرف جيداً ما تشعر به، فكل خلل في شخصية غيدو ترى فيه انعكاساً لك. شعرت بالاحساس عينه تجاه ليزي، لكنهما بلغا سن الرشد وعليهما أن يتحملا عواقب أفعالهما. صحيح أننا مددنا لهما يد العون وارشدناهما إلى الطريق الصحيح. إلا أننا بالغنا في

تدليلهما.. وفي نهاية الأمر عليهما أن يكون سيدي مصيرهما.. لست قيماً على أخيك.. لقد شق طريقه بنفسه وحدد خياراته.. والذنب ليس ذنبك إن كنت محبوباً.. أضف إلى ذلك أنك تستحق حب الناس لك.

حدقت به بلهفة، تتوق لازاحة عبء ذنب أخيه عن كاهله، وتابعت كلامها: «إنك طيب القلب، وتخال أن من واجبك أن تعوض عن ذنوبه، لأنك نبيل وصاحب مبدأ. لكنك عاقبت نفسك بما فيه الكفاية».

ازدادت نبرة صوتها رقة وهي تضيف: «لن أسمح لغيدو بأن يحقق مراده، مهما كلف الأمر. مفهوم؟».

- مراده؟

أجابته ببساطة: «أراد أن يفرق بيننا، لكن فراقنا محال لأن حبنا أقوى من كل شيء. أليس كذلك؟ فأنت حياتي كلها ولا أنوي التخلي عنك. انتهى الكابوس يا دانتي، فلنقفل أبواب الماضي الأليم ونمشي على دروب المستقبل الزاهي».

نظر دانتي في عينيها... ابتلع ريقه.. بلل شفتيه بلسانه.. ثم عض عليهما وكأنه يريد أن يحرر رأسه من الأفكار المعشعشة فيه..

- أنا.. أنا.. أنا..

وماتت الكلمات على لسانه من شدة انفعاله..

ابتسمت له بحنان قائلة:

- اعتبرني صرصاراً وعانقني أيها المغفل!

مال برأسه نحوها وعانقها بشوق ولهفة، فأطلقت ميراندا آهة فرح.. ستسير الأمور على خير ما يرام.

- لكن..

- لا أريد سماع المزيد..

شبكت يديها خلف رأسه وشدته إليها تبادله العناق بشوق لا حدود له.

- لا أصدق ما يحصل لي.. هل غفرتِ لي حقاً؟

- غفرت لك؟ أعرف جيداً ما حيك ضدي. وأي رجل حاد الطباع

www.liilas.com/vb3

مثلك كان ليفعل ما فعلته، ولا أجد ما يدعو للغفران!

- ميراندا! لا أصدق أذنيّ. وضعت في رأسي خططاً، وتصورت مستقبلي كئيباً بعيداً عنك وعن كارلو. صحيح أن الفكرة فاقت قدرتي على الاحتمال، لكنني رضخت لقدري. وكلما فكرت بما ينتظرني، أحسست بقلبي يتمزق إرباً إرباً..

وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع يقول: «أحبك كثيراً فأنت النور لعيني والحياة لروحي والبلسم لجروحي».

- إنك تتكلم بلسان حالي.

أطلق ضحكة خافتة وانحنى نحوها يعانقها عناق من طال اشتياقه وصبره...

مضى وقت طويل قبل أن يحررها دانتي قائلاً: «هلا قلت لي كيف استطعت مسامحتي بهذه السهولة؟».

- قلت لك إنني لا اعتبرك مسؤولاً عما حصل، وحبي لك أقوى من أي ضغينة. لطالما أحسست بعذابك وألمك، ووددت لو تدعني أخفف عنك.. فسعادتك تهمني لأنك تعني لي الكثير.

- إنك رائعة يا ميراندا. حنونة، طيبة القلب، ومعطاءة، إنني أسعد رجل في العالم.

أضاءت ابتسامة الفرح وجهه، فأدركت ميراندا أن هموم الماضي ومشاكله ولت إلى الأبد.

داعب خدها بأنامله قائلاً: «خطرت لي فكرة، ما رأيك لو نقيم زفافاً ثانياً في بيلاغيو؟».

افتر ثغرها عن ابتسامة عريضة وهتفت مسرورة: «ونعلق الشرائط والرايات الملونة؟ ونأخذ صوراً تذكارية قرب البحيرة».

- ونطلق الألعاب النارية، وندق الأجراس، سيكون أعظم احتفال شهدته بيلاغيو!

ونظر إليها بعينين تشعان حباً وأضاف: «لا أصدق أننا تمكنا من تخطي

العوائق التي اعترضت سبيل حبنا، لنبقى العمر كله معاً. فأنا لا أشبع من النظر إليك، ولمسك. آه، كم أحبك!».

- أفهم تماماً ما تقصده. بذلت في الماضي وسعي لأكرهك، لكن قلبي أبى الإذعان.

- حري بنا أن نصغي إلى صوت القلب في المستقبل.

وضمها إلى صدره بقوة حتى كاد يسحقها بين ذراعيه، وقال: «أرى طريق المستقبل مفتوحة أمامنا نحن الثلاثة، ومزروعة بورود الأمل».

فجأة صرخت ميراندا فأجفل دانتي مذعوراً: «ما الأمر يا حبي؟ ماذا حصل؟ هل تشعرين بالألم؟».

المستقبل.. الثلاثة.. كيف غاب الأمر عن ذهنها؟

أحست بالغرفة تدور من حولها، وترنحت قليلاً. فحملها بين ذراعيه هامساً في أذنيها كلمات حنونة.

- أخبريني ما الأمر، هيا حبيبتي، أرجوك.

- يا لغبائي! أدركت للتو..

- ماذا؟

بدا عليه القلق، وسألها: «لن تقولي إننا لن نمضي العمر كله معاً، أليس كذلك؟».

- لا! أحمل لك خبراً ساراً.. خبر سيفرحك حتماً.

- ما هو؟

عانقته برقة، تحاول أن تخفف من حدة انفعاله، فعانقها بشوق ويداه القويتان تبعثان الدفء في جسمها!

كيف نسيت أمراً بهذه الأهمية؟ فالطفل الذي تحمل هو طفل دانتي! صرخت ابتهاجاً وشبكت يديها خلف عنقه تشده إليها بحنان!

- لا أفهم شيئاً.

تلاقت عيونهما، فأحست ميراندا بالبهجة تملأ قلبها حتى كاد ينفجر. إنه الرجل الذي تحبه بكل جوارحها، وتتوق للبقاء إلى جانبه في كل لحظة من

www.liilas.com/vb3

لحظات حياتها.

ابتسمت له وهمست في أذنه قائلة: «أحمل لك أجمل خبر في الدنيا».

ووضعت يدها على بطنها. لاحقت نظراته يدها.. واهتز جسده دهشة. أمسك دانتي وجهها بين راحتيه، يحاول التأكد مما تقصده..

- هل تقصدين..؟

أومأت والابتسامة تعلو ثغرها: «نعم، إنني حامل. سنحظى بطفل ثانٍ».

أخذ دانتي نفساً عميقاً. ورأت الدموع تتلألأ في عينيه قبل أن يضمها بحنان قائلاً: «إنها حياة جديدة... عادت حبيبتي إلي حاملة في أحشائها طفلنا».

وأحاطها بذراعيه القويتين كأنه يحاول أن يحمي طفلهما من أي أذى، ثم رفع ذقنها برقة مضيفاً: «أحبك أكثر مما تتصورين، سأكرس حياتي كلها لك ولطفلينا، وأنثر بذور السعادة في قلوبكم».

ألقت ميراندا بنفسها بين ذراعيه تضمه بشوق.. إنهما الآن روح واحدة في جسدين وحبهما سيدوم إلى الأبد.. ولا أحد سيتمكن من تفريقهما ثانية.

ناما تلك الليلة كطفلين هانئين وهما يدركان أن حياة مديدة مليئة بالسعادة والحب تنتظرهما...

www.liilas.com/vb3
emma